فكرة الصوت الساذج
وأثرها في الدرس الصوتي العربي**

أ. د. غانم قدوري الحمد
الأستاذ بكلية التربية بجامعة تكريت بالعراق*

* من مواليد تكريت بالعراق عام ١٩٥٠م.
* نال الماجستير في علم اللغة من جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م بأطروحته "رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية".كما حصل على الدكتوراه في اللغة العربية من جامعة بغداد عام ١٩٨٥م بأطروحته "الدراسات الصوتية عند علماء التجويد"، والرسالتان مطبوعتان.
* له مؤلفات وبحوث وتحقيقات عديدة، منها: تحقيق كتاب "التحديد في الإتقان والتجويد" لأبي عمرو الداني، و " التمهيد في علم التجويد" لابن الجزري.

** البحث الفائز بالمركز الأول في المسابقة العلمية الأولى التي نظمتها المجلة

الملخص

يتتبع هذا البحث جذور فكرة الصوت الساذج في الدرس الصوتي العربي، التي أخذ بها كثير من علماء العربية والتجويد المتقدمين في تفسير حدوث الصوت اللغوي ، وتتلخص في أن النَّفَسَ الخارج من الصدر يتشكل بفعل حركة عضلات الصدر والرئتين بصورةِ صوتٍ ساذَجٍ يُشَكِّلُ مادة تتكون منها حروف اللغة في تجاويف أعضاء آلة النطق ، وعرَّفوا الحرف بناء على ذلك بأنه صوت (ساذج) يعتمد على مقطع (أي مخرج) محقق أو مقدَّر، وهو تعريف لا يخلو من قصور وغموض ، ويُبَيِّنُ الأثر السلبي لهذه الفكرة في تصور علماء العربية والتجويد لعملية النطق ، وحدوث الصوت اللغوي ، وتعريف الحرف اللغوي والصوت المجهور والمهموس والشديد والرخو ، مما لا يزال تأثيره ظاهراً في الكتب المؤلفة في علم التجويد في عصرنا ؛ ذلك أن فكرة الصوت الساذج لا تفسر العملية النطقية تفسيراً يتطابق مع حقيقة الأمر ، فالصوت اللغوي يتكون من هواء الزفير ويتشكل حروفاً في أعضاء آلة النطق بدءاً من الحنجرة وانتهاء بالشفتين ، وليس هناك صوت ساذج يسبق مرور النَّفَس في تجاويف آلة النطق الكائنة فوق الحنجرة .كما يحاول البحث بيان وجهة نظر الدرس الصوتي الحديث في حدوث الصوت اللغوي ، وإعادة صياغة عدد من التعاريف الصوتية في ضوء ذلك ، ويدعو إلى الأخذ بها في الكتب التعليمية لعلم التجويد، حتى يسهل فهمها على المتعلمين ، والله ولي التوفيق .

مقدمة

الحمدُ لله رَبِّ العالمينَ، والعاقبةُ للمتقينَ، ولا عُدوانَ إلا على الظالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنَّ التراث الصوتي العربي يتميَّزُ بالسعة ، والتنوع والحيوية والتجديد، وقد أدَّى ذلك التراث رسالته في الحفاظ على النطق العربي بريئاً من شوائب اللحن الخفي، نقياً من مظاهر العُجْمَةِ واللُّكْنَةِ، وهو لا يزال يؤدي ذلك الدور ، تشهد على ذلك المقارئ القرآنية، والحلقات التعليمية، والمؤسسات العلمية.

وفي التراث الصوتي العربي، سواء تمثل في كتابات اللغويين ، أم في مؤلفات علماء التجويد والقراءات، مجال واسع للاجتهاد والمراجعة ، لاسيما بعد أن تقدمت دراسة علم الأصوات اللغوية واستفادت من التقنيات الحديثة ، والمناهج الجديدة ، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن ذلك التراث قد حقق إنجازات متميزة في الكشف عن خصائص الأصوات اللغوية وكيفية إنتاجها وأحكامها الصوتية في التركيب.

وكانت لعلماء اللغة العربية والتجويد محاولات جادة في تفسير ظاهرة الصوت الطبيعية، والكشف عن حقيقة الأصوات اللغوية، واستفاد متأخروهم مما توصل إليه علماء الطبيعة والحكماء في فهم كيفية حدوث الأصوات اللغوية وعوامل تنوعها، ويبدو أن بعض الأفكار التي لم تتأكد صحتها حول إنتاج الأصوات قد تسربت إلى مناقشات علماء التجويد المتأخرين، وكانت عقبة في

طريقهم لتفسير حقائق النطق تفسيراً علمياً شاملاً لكـــل جوانـــب العمليـــة النطقية.

وكانت أكثر تلك الأفكار تشويشاً على الدرس الصوتي العربي فكرة الصوت الساذج ، التي ألقت بظلها على بحوث علماء التجويـــد المتـــأخرين لتعريف الحرف والصوت، والتمييز بين الأصـــوات المجهـــورة والـــشديدة، وتتلخص تلك الفكرة في أن النَّفَس الخارج من الداخل يتشكل بفعل حركـــة عضلات الصدر والرئتين بصورة صوت ساذج يكون مادة لحروف اللغة ومحلاًّ لها، وشاع لديهم بناء على ذلك تعريف الحرف بأنه صوت يعتمد على مقطع محقق أو مقدَّر.

ولا شك في أن فكرة الصوت الساذج لا تفسر العملية النطقية تفسيراً علمياً ولا تشكل أساساً صحيحاً لفهم الأصوات اللغوية ، وهـــي في ظـــني مسؤولة عن إضعاف المناقشات الدقيقة التي عقدها شراح المقِّدمـــة الجزريـــة وغيرهم من علماء التجويد المتأخرين لتعريف الصوت ، والحرف ، وكيفيـــة تنوع الأصوات ، والفرق بين الصوت المجهور والشديد ، والصوت الرخـــو والمهموس، وقد انعكس ذلك الخلل على مؤلفات علـــم التجويـــد الحديثـــة والمعاصرة بصورة لا تساعد المتعلم على الوقوف على الحقائق العلمية المتعلقة بموضوع الأصوات اللغوية التي تشكل أساس قراءة القرآن وتجويد حروفه.

ووجدت في كتابات علماء العربية والتجويد حقائق تتعلق بالعمليـــة النطقية والأصوات اللغوية يمكن أن ينبني عليها تصور صحيح لحقيقة النطـــق وتفسير ظواهره ، ولا يتعارض ذلك مع ما أثبتته الدراسات الحديثة للأصوات،

فيرتبط الدارس بالتراث الصوتي العربي، ولا يحرمه ذلك من ثمرات الدراسات الحديثة.

وسوف يعرض هذا البحث تصور علماء العربية والتجويد لفكرة الصوت الساذج، وكيف انعكس ذلك على إدراكهم طبيعة الصوت اللغوي، وتعريف الحرف، وعوامل تعدد الأصوات التي تنتجها آلة النطق، ووجهة نظر الدرس الصوتي الحديث في هذه الموضوعات، وذلك من خلال المباحث الآتية:

(١) إنتاج الأصوات اللغوية وعوامل تنوعها في الدرس الصوتي الحديث.

(٢) الصَّوْتُ والنَّفَسُ عند سيبويه.

(٣) تعريف الصوت وكيفية حدوثه عند الحكماء.

(٤) ظهور فكرة الصوت الساذج.

(٥) أثر فكرة الصوت الساذج على علماء التجويد.

ثم الخاتمة التي تتضمن النتائج التي انتهى إليها البحث.

وقد بدأت بعرض وجهة النظر المعاصرة في إنتاج الأصوات اللغوية، وعوامل تنوع الصوت ، ليكون ذلك مقياساً محدداً لتقويم الأفكار التي وَجَّهَتِ الدراسة الصوتية العربية القديمة باتجاه معين، ثم عرضت بعد ذلك جوانب الموضوع مراعياً التطور التاريخي لفكرة الصوت الساذج.

وأرجو أن يكشف هذا البحث الأبعاد التاريخية التي أدَّت إلى تشكل فكرة غير دقيقة عن حقيقة الأصوات اللغوية ، وأن يؤدي إلى تخليص المؤلفات الحديثة في علم التجويد من فكرة الصوت الساذج وآثارها ، حتى يسهل على المتعلمين فهم القواعد التي يدرسونها ، والوقوف على العلل الصوتية للظواهر التي ينطقونها .

أسأل الله تعالى التوفيق للصواب في القول ، والرشاد في العمل، اللهم اجعل ما كتبته في هذا البحث وفي غيره خالصاً لوجهك، وابتغاء مرضـــاتك، اللهم تقبل ما فيه من صواب واعف عما فيه من زلل، إنك غفور رحيم .

أ. د.غانم قدوري الحمد

تكريت/ العراق

٢٠٠٧/٤/٢

المبحث الأول

إنتاج الأصوات اللغوية وعوامل تنوعها

في الدرس الصوتي الحديث

إن تتبع أثر فكرة الصوت الساذج في جهود علماء العربية والتجويد يقتضي الاحتكام إلى مقياس محدد في فهم عملية التصويت ، وقد انتهت دراسة علم الأصوات في العقود الأخيرة إلى الكشف عن آلية إنتاج الأصوات اللغوية على نحو واضح ، لا يدع مجالاً للاجتهاد الشخصي في فهم حقيقة الصوت ، أو سبباً للاختلاف في تحديد عوامل تنوعه .

إن هواء الزفير هو مادة الصوت[1] الإنساني ، والإنسان لا يتوقف عن التنفس في جميع أحواله ما دام يتصف بالحياة ، وحين يكون الإنسان في حالة صمت فإن مجرى الهواء يكون مفتوحاً خلال الحنجرة والتجاويف التي فوقها ، فيمر الهواء في عمليتي الشهيق والزفير من غير إحداث صوت مسموع ، فإن أراد الإنسان إنتاج الصوت احتاج إلى تحريك أعضاء آلة النطق لاعتراض هواء الزفير ، مما يؤدي إلى حدوث الصوت .

ويتوقف إنتاج الأصوات اللغوية على وجود عاملين : الأول

---

(١) الصَّوْت: ظاهرة طبيعية تنتج عن جسم يهتز يؤدي إلى حدوث اضطراب تضاغطي ينتقل في الهواء على شكل موجات ، تؤثر على طبلة الأذن ، فيؤدي ذلك إلى الإحساس بالصوت وسماعه (ينظر: بوش: أساسيات الفيزياء ص٤٠٠ ، و د. سعد عبد العزيز مصلوح: دراسة السمع والكلام ص١٨-١٩) . وينتقل الصوت في الهواء بسرعة يصل معدلها إلى ٣٤٠م في الثانية (ينظر: بوش: أساسيات الفيزياء ص٤٠٤ ، ومالمبرج : علم الأصوات ص١٢) . والصوت اللغوي نوع من ظاهرة الصوت الطبيعية ، ويُعَرَّفُ بأنه : أَثَرٌ سمعي يصدر طواعية واختياراً عن حركة أعضاء النطق (ينظر: كمال بشر: علم الأصوات ص١١٩) .

النَّفَسُ[1]، وهو هواء الزفير، والثاني العارض، ويتأتى من تحريك أعضاء النطق لاعتراض طريق النَّفَس بقفل أو تضييق لمجراه[2] .

وإنتاج الأصوات اللغوية لا يتحقق بحركة عضو واحد من أعضاء آلة النطق ولكن بالتقاء عضوين، وقد تسهم بعض الأعضاء الأخرى بحركات مصاحبة لِتَكَوُّنِ الصوت في موضع النطق، وتتكون آلة النطق من ثلاثة تجاويف رئيسة هي : التجويف الفموي ، والتجويف الأنفي ، والتجويف البلعومي (أو الحَلْقي) ، الذي ينتهي في الأسفل بالحنجرة ، وهناك عدد من العوامل التي تؤدي إلى تنوع الصوت اللغوي ، وأهمها ثلاثة هي :

١. حالة الوترين الصوتيين عند إنتاج الصوت .
٢. موضع اعتراض النَّفَس في آلة النطق .
٣. كيفية اعتراض النَّفَس في ذلك الموضع .

وتوضيح جميع المسائل المتعلقة بهذه العوامل الثلاثة يحتاج إلى مجال أوسع مما يحتمله البحث ، وسوف أكتفي بذكر ما يساعد في تكوين تصور صحيح لعملية التصويت ، حتى يمكن من خلال ذلك تقويم الأفكار التي وردت عند علماء العربية والتجويد حولها .

(١) حالة الوترين الصوتيين عند إنتاج الصوت :

تتكون الحنجرة من عدد من الغضاريف تشكل صندوقاً صغيراً يقع في

(١) النَّفَسُ : هو الهواء الخارج من الأنف أو الفم ، والتنفس: استمداد النَّفَس ، وكل ذي رئة يتنفس (ينظر: ابن منظور: لسان العرب ١٢٢/٨ نفس) .
(٢) ينظر: جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص١٩ .

أعلى القصبة الهوائية وفي داخله الوتران الصوتيان اللذان يتخـذان أشـكالاً متعددة ، أهمها ثلاثة ، هي[١]:

١. التباعد، فتتشكل بينهما فتحة على شكل مثلث تسمى فتحة المزمار، يمر خلالها الهواء في عملية التنفس، ولا يؤدي ذلك إلى حدوث أي أثر صوتي، وهي الحالة التي يكون عليها الوتران عنـد نطق الأصوات المهموسة أيضاً.

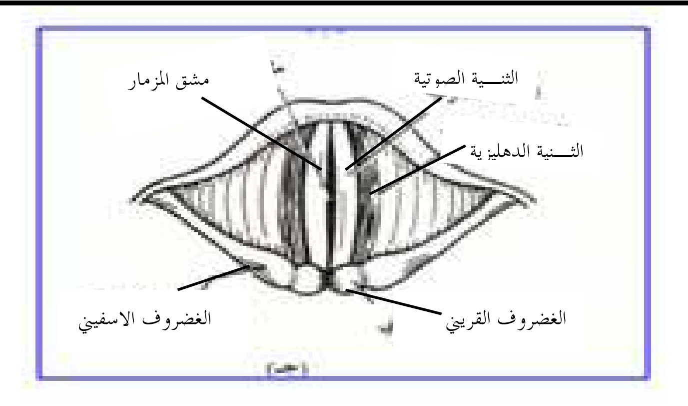
٢. التضام، فينطبق الوتران أحدهما على الآخر ، انطباقاً تامّاً لكن ذلك لا يمنع من نفوذ هواء الزفير بينهما ، فيؤدي إلى فتحهما وغلقهما على نحـو سريع ، فتتشكل من هذه العملية ذبذبات متوالية سريعة ، تؤدي إلى حدوث النغمة الحنجرية التي تصاحب إنتاج الأصوات المجهورة[٢]، ويبلـغ متوسـط الذبذبات عند الرجل من ١٠٠-١٥٠ ذبذبة في الثانية ، و٢٠٠-٣٠٠ ذبذبة في الثانية عند المرأة .

٣. انطباق الوترين انطباقاً محكماً، فينحبس الهواء لحظـة، ثم ينفرجـان فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً هو صوت الهمزة، أو ما يشبهها .

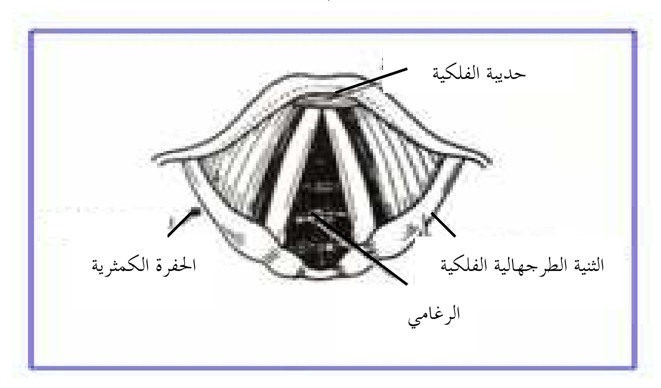
وهذه صورة لحالة تباعد الوترين الصوتيين (أو الثنيتين الـصوتيتين) ، وحالة تضامهما :

(١) ينظر: محمود السعران: علم اللغة ص١١٤ ، وعبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص٥٧ ، وسـعد عبد العزيز مصلوح: دراسة السمع والكلام ص١٠٧ ، وكمال بشر: علم الأصوات ص١٣٦ .

(٢) يمكنك التفريق بين المجهور والمهموس بسد أُذنيك عند النطق بالصوت ، فما صاحبه دوي نـاتج عن ذبذبة الوترين كان مجهوراً ، وما لم يصاحبه دويٌّ كان مهموساً ، فالأصـوات : ذ ظ ز د ض ج ...إلخ مجهورة ، والأصوات : ث س ش ت ك ...إلخ مهموسة (ينظر: إبراهيم أنـيس: الأصـوات اللغوية ص٢٠).



حالة تضام الوترين



حالة تباعد الوترين

(٢) موضع اعتراض النَّفَس

إن مرور الهواء من خلال فتحة المزمار في الحنجرة لا يؤدي وحده إلى إنتاج أصوات لغوية ، وإن ما يحدث في الوترين من اهتزاز يصاحب نطق الأصوات المجهورة ، أو تباعد يصاحب نطق الأصوات المهموسة ما هو إلا جزء من عملية مركبة من عدد من الأنشطة لأعضاء النطق التي تقع فوق الحنجرة لإنتاج الصوت اللغوي .

ويمكن أن تتحرك أعضاء النطق لاعتراض النَّفَس في مواضع متعـــددة من آلة النطق ، فيؤدي ذلك الاعتراض إلى تشكل الصوت ، ويسمى ذلـــك الموضع المخرج[(١)] ، وتتعدد مخارج الأصوات العربية[(٢)] ، فتجويف الحلق لـــه ثلاثة مخارج لستة أصوات (ء هـ - ع ح — غ خ) ، ولتجويف الفم عـــشرة مخارج لثمانية عشر صوتاً (ق-ك-ج ش ي- ض-ل-ن-ر-ت د ط —س ص ز — ث ذ ظ)، وللشفتين مخرجان لأربعة أصوات هي:(ف-ب م و) ، وللخياشيم مخرج واحد للنون الخفية[(٣)].

(٣) كيفية اعتراض النَّفَس

يتنوع شكل أعضاء آلة النطق في مواضع الاعتراض التي أشرت إليها في الفقرة السابقة ، وهي المخارج ، ويؤدي ذلك إلى تنوع الأصوات وتمـــايز جروسها في السمع ، وأهم عامل مؤثر في تكوُّن الأصوات في مخارجها هـــو مقدار الاعتراض ، أو درجة انفتاح المخرج[(٤)] .

---

(١) يمكنك تحديد مخرج الصوت بالنطق به ساكناً بعد همزة وصل ، فحيث انقطع صوته كان مخرجه (ينظر: الخليل: العين ٤٧/١ ، وابن الجزري: النشر ١٩٩/١).

(٢) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٩٢-٩٧، والمدخل إلى علـــم أصـــوات العربيـــة ص٦٣-٦٥.

(٣) هذا على مذهب سيبويه (ينظر: الكتاب ٤٣٣/٤) ومن المتقدمين والمحدثين من جعل المخـــارج أربعة عشر مخرجاً باعتبار اللام والراء والنون من مخرج واحد ، ويضع المحدثون الضاد الحديثة في مخرج (د ت ط)، ولا يقتضي المقام الدخول في تفاصيل المخارج وبيان مذاهب القدماء والمحدثين حولها .

(٤) ينظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٩٧-١٠٢ ، والمدخل إلى علم أصوات العربية ص ٦٥-٦٧.

وتقسم الأصوات إلى صامتة (أو جامدة) ومصوتة (أو ذائبة) بناء على درجة انفتاح المخرج ، فإذا كانت المخارج واسعة ، ومجرى النَّفَس مفتوحاً ، ولا يصاحبه إلا أدنى تضيق كان الصوت ذائباً أو مصوتاً ، مثل حروف المد الثلاثة ، والحركات مثلها لأنها أبعاضها ، وإذا حصل قفل لمجرى النَّفَس أو تضيق من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً كان الصوت جامداً أو صامتاً ، وهي بقية أصوات العربية ، ومنها الواو والياء إذا تحركتا ، أو كانتا ساكنتين وقبلهما حركة ليست من جنسهما، لكن المسافة بين اللسان والحنك الأعلى فيهما أوسع من بقية الصوامت .

وتقسم الأصوات الجامدة (الصامتة) على ثلاثة أقسام ، بحسب مقدار انفتاح المخرج ، وهي:

١. شديدة ، أو انفجارية ، وذلك إذا التقى عضوان من أعضاء آلة النطق وحَبَسا النَّفَس حبساً كاملاً ثم انْفَرَجا ، وذلك عند نطق: (ب ت د ط ج ك ق ء) ، ويمكن إضافة الضاد التي ينطقها مجيدو قراءة القرآن الكريم في زماننا إليها.

٢. رخوة أو احتكاكية، وذلك إذا كان اعتراض المخرج على النَّفَس لا يؤدي إلى قفل مجرى النفس ، بل يبقى منفذ ضيق يتسرب منه الهواء، ويحدث عند نطق:(ف ، ث ذ ظ ، س ص ز ، ش، غ خ ، ع ح ، ه).

٣. متوسطة بين الشديدة والرخوة ، أو مائعة ، وذلك إذا أدَّى الاعتراض إلى قفل مجرى النَّفَس ، ولكنه يتسرب من موضع آخر، ويحدث ذلك عند نطق: (م ، ن ، ل ، ر) ، ويُلْحِقُ بعض الدارسين العين بها، وتفصيل ذلك لا يليق بهذا الموضع .

وهناك كيفيات أُخرى تتعلق بكيفية اعتراض آلة النطق للنفس ، تؤثر في تنوع الصوت ، أهمها :

١. قد يحدث عند نطق أصوات طرف اللسان أن يتصعد أقصى اللسان فتكتسب أصوات طرف اللسان صفة الإطباق ، وذلك في مقابل الأصوات المنفتحة التي لا يتصعد أقصى اللسان عند نطقها، والأصوات المطبقة أربعة (ظ ، ط ، ص ، ض).

٢. يتسرب النَّفَس من الفم عند نطق أكثر أصوات العربية ، إلاَّ في نطق النون والميم ، فينخفض الحنك اللين واللهاة عند النطق بهما، فيتخذ الصوت مجراه من تجويف الأنف (أو الخياشيم) فيكون أنفياً ، أو صوتاً أَغَنَّ.

٣. تتشكل بعض الأصوات على نحو يجعل جرسها متميزاً ، فتكتسي صفات صوتية تختص بها ، مثل أصوات الصفير (س ص ز) ، وأصوات الاستعلاء (ظ ط ص ض،ق غ خ) ، والصوت المكرر (الراء) ، والصوت المنحرف (اللام) والصوت المتفشي (الشين) ، وأصوات القلقة (ق ط ب ج د) ، وأصوات اللين (و ي).

ولا يكفي في وصف الصوت تحديد مخرجه ، فلا بد من النظر إلى صفاته الصوتية ، ولا أجد ضرورة للتوسع في دراسة المخارج والصفات في هذا البحث ، وأحسب أن ما ذكرته يعطي القارئ فكرة عن آلية إنتاج الصوت اللغوي وعوامل تنوعه ، كما يعرضها دارسو الأصوات المحدثون ، وهي لا تختلف في كثير من تفاصيلها عما قرَّره علماء العربية والتجويد بشأنها إلا في بعض النقاط التي يهدف البحث إلى تسليط الضوء عليها.

ومن المهم الانتباه إلى النقاط الآتية:

١. يحدث الصوت اللغوي إذا اعترضت أعضاء آلة النطق هواء الزفير، وأدَّى ذلك الاعتراض إلى تضييق مجرى النفس أو قفله ، فيحدث الصوت.

٢. يكون الصوت مجهوراً إذا اهتزَّ الوتران الصوتيان مع تكـوُّن الصوت في مخرجه ، ويكون مهموساً إذا لم يهتز الوتران.

٣. يكون الصوت شديداً أو انفجارياً إذا أدَّى اعتراض أعضاء آلة النطق إلى قفل المخرج وحبس النَّفَس فيه لحظة ثم إطلاقه ، ويكون رخـواً إذا أدَّى الاعتراض إلى تضيق المخرج من غير حبس للنَّفَس، ويكون متوسطاً إذا حصل حبس للنفس في مخرج الصوت وتسريب للنفس من موضع آخر .

ويكون الصوت الشديد مجهوراً في مثـل : (ب ج ض) ، ويكـون مهموساً في مثل : (ت ط ك ق).

ويكون الصوت الرخو مجهـوراً في مثـل : (ذ ظ ز ي و غ ع) ، ويكون مهموساً في مثل : (ف س ص ش ح خ ه).

أما الأصوات المتوسطة فجميعها مجهـورة ، وكـذلك الأصـوات الذائبـة (المصوتة) وهي حروف المد والحركات.

وأنت تلاحظ من خلال هذا العرض أن هناك تمايزاً واضحاً بين صفة الجهر والهمس ، وصفة الشدة والرخاوة والتوسط ، وليس في تصور المحدثين لهما أي تداخل أو غموض ، وتحقق ذلك بعد أن تحددت طبيعـة الصوت المجهور والمهموس من خلال اكتشاف دور الوترين الصوتيين في إنتاجهـا ، وكذلك تحديد طبيعة الصوت الشديد والرخو.

المبحث الثاني
الصَّوْتُ والنَّفَسُ عند سيبويه

أَسَّسَ سيبويه (ت١٨٠هـ) لعلم أصوات العربية في باب الإدغام خاصة في آخر الكتاب[١] ، وترسخت المصطلحات التي استخدمها للتعبير عن الأفكار المتعلقة بعلم الأصوات ، ويهمنا هنا تحديد وجهة نظره في آلية إنتاج الأصوات اللغوية ، ووجدت أن تتبع دلالة مصطلح (الصوت) و (النَّفَس) عنده يمكن أن يكشف عن ذلك ، ويمهد للحديث عن بروز فكرة الصوت الساذج من بعده .

ولاشك في أن سيبويه لم يتعرض للحديث بشكل مباشر عن آلية إنتاج الأصوات ، وكيفية تنوعها ، لكن دراسته للمخارج والصفات وظواهر الإدغام تكشف عن تصوره لعملية التصويت .

تحدَّث سيبويه في أول باب الإدغام عن عدد حروف العربية ، وذكر أن أصل حروف العربية تسعة وعشرون ، وذكر أنها تكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هن فروع ، وأصلها التسعة والعشرون ، وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف أخرى هن فروع أيضاً لكنها غير مستحسنة[٢]. والظاهر الجليُّ هو أن سيبويه يريد بمصطلح (الحروف) هنا الأصوات اللغوية ، وليس الرموز الكتابية ، وأكثرَ سيبويه من استخدام مصطلح الحرف ، والحروف بهذا المعنى، وكذلك استخدم أسماء الحروف للدلالة على جانبها الصوتي.

---

(١) الكتاب ٤/٤٣١- ٤٨٥.

(٢) الكتاب ٤/٤٣١-٤٣٢.

ويلفت نظر الدارس أن سيبويه استخدم مصطلح (الصوت) و(النَّفَس) ، و(هواء الصوت) للتعبير عن مكوِّنات الحروف الصوتية ، ولكن يمكن القول : إن مصطلح (الصوت) ليس مرادفاً لمصطلح (الحرف) عنده ويتضح ذلك من خلال النظر في النصوص التي وردت فيها هذه المصطلحات.

واستخدم سيبويه مصطلح (الصوت) أكثر من استخدامه مصطلح (النَّفَس) ، واستخدم عبارة (هواء الصوت) عدة مرات أيضاً.

أما مصطلح (النَّفَس) فقد استخدمه سيبويه في تعريف المجهور والمهموس ، وذلك حيث قال: « فالمجهورة: حرفٌ أُشبع الاعتماد في موضعه، ومَنَعَ النَّفَس أن يجريَ معه حتى ينقضيَ الاعتمادُ ، ويجريَ الصوتُ... وأما المهموس فحرف أُضْعِفَ الاعتماد في موضعه حتى جرى النَّفَسُ معه... »[1].

وقد لا يكون سيبويه استعمل مصطلح (النَّفَس) في غير هذا الموضع ، لكنه أكثر من استعمال مصطلح (الصوت) ، فاستعمله في تعريف الشديد والرخو فقال: « ومن الحروف الشديد ، وهو الذي يمنع الصوت أن يجريَ فيه... ومنها الرخوة... وذلك إذا قلت: الطَّسُّ ، وانْقَضْ ، وأشباه ذلك ، أجريت فيه الصوت إن شئت » [2].

واستعمله أيضاً في بيان الصفات الأُخرى للأصوات ، وقد يقرنه بكلمة (هواء) فيقول: (هواء الصوت) ، ومن المفيد نقل كلامه في ذلك مع حذف بعض العبارات غير الضرورية للموضوع ، قال :

«ومنها: المنحرف،وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٤.

(٢) الكتاب ٤/٤٣٤-٤٣٥.

مع الصوت ، و لم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة ، وهو اللام . وإن شئت مددت الصوت ، وليس كالرخوة ، لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه ، وليس يخرج الصوت من موضع اللام من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك.

ومنها حرف شديد يجري معه الصوت ، لأن ذلك الصوت غنةٌ من الأنف ، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف ، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت ، وهو النون والميم.

ومنها المكرر، وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرَّر لم يجر الصوت فيه، وهو الراء.

ومنها اللينة ، وهي الواو والياء ، لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما...

ومنها الهاوي ، وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشدَّ من اتساع مخرج الياء والواو ...

ومنها المطبقة والمنفتحة ... وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحَنَك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحَنَك ، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور في ما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف .

وأما الدال والزاي ونحوهما فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهن[1] ... » .

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٥-٤٣٦ ، وينظر أيضاً ٤/١٧٦ .

ولا يتضح على وجه التحديد مراد سيبويه في قوله في تعريف الصوت المجهور: « ومَنَعَ النَّفَس أن يجريَ معه » ، والنَّفَسُ في اللغة هو الهواء الخـــارج من الفم أو الأنف[1] ، وهو لا ينفك عن الجريان مع الأصـــوات المجهـــورة والمهموسة ، وإلا لم يكن هناك صوت ، وقد يكون مراد سيبويه منه ما عبَّـــر به في النصوص السابقة بقوله: « هواء الصوت » ، وقد يكون مراده ما عَبَّـــرَ عنه في موضع آخر بقوله: « صوت الصدر» المصاحب للأصوات المجهـــورة ، الذي يأتي الحديث عنه بعد قليل ، ووقف عدد من الدارسين المحـــدثين عنـــد تعريف سيبويه للمجهور والمهموس ، وحاولوا استجلاء معنى إشباع الاعتماد في موضع الحرف ، ومنعه النفس أن يجري معه ، محاولين فهم ذلك في ضوء تعريف المجهور والمهموس في الدرس الصوتي الحديث[2].

ومما يسهم في معرفة تصور سيبويه لحقيقة الصوت اللغوي ، والكشف عن دلالة مصطلح الصوت والنَّفَس عنده ، الوقوف عند بعض أقواله حول ما سماه "صوت الصدر " ، تلك الأقوال التي لم تحظ بعناية العلماء من بعده ، مع أهميتها وقيمتها العلمية المتميزة .

قال سيبويه في باب الوقف: « واعلم أن من الحروف حروفاً مُـــشْرَبَةً ضُغِطَتْ من مواضعها فإذا وَقَفْتَ خرج معها من الفم صُوَيْتٌ ونَبَا اللسان عن موضعه ، وهي حروف القلقلة ... ومن المشربة حروف إذا وقفتَ عنـــدها خرج معها نحوُ النَّفْخَةِ ، ولم تُضْغَطْ ضغطَ الأولى ، وهي: الـــزاي والظـــاء

(١) لسان العرب ١٢٢/٨ (نفس) .

(٢) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٢٤، وعبد الصبور شاهين: في التطور اللغـــوي ص ٢٣٠-٢٣٧.

والذال والضاد ، لأن هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انسلَّ آخره وقد فتر من بين الثنايا لأنه يجد منفذاً ، فتسمعُ نحوَ النفخة ... وأما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نَفْخٍ ، لأنهن يخرجن مع التنفس لا صوت الصدر ... » [1] .

والعنصر الجديد في كلام سيبويه هذا هو (صوت الصدر) ، ولم يرد في الكتاب ما يوضح مراده منه ، ولم يذكره في الكتاب إلا في هذا الموضع ، حسب استقرائي ، ولكن السيرافي (ت ٣٦٨هـ) ذكر في شرح الكتاب حكاية عن سيبويه نقلها عنه تلميذه أبو الحسن الأخفش توضح المقصود بصوت الصدر، وتضع في مقابله مصطلح (صوت الفم) ، من المناسب نقل بعض الفقرات منها .

قال السيرافي: « قال أبو الحسن الأخفش: سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور ، فقال: ... وإنما فرَّق بين المجهور والمهموس أنك لا تصل إلى تبيين المجهور إلا أن يدخله الصوت الذي يخرج من الصدر ، فالمجهورة كلها هكذا يخرج صوتهن من الصدر... وأما المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها ، وذلك مما يُزْجِي[2] الصوت ، ولم يُعْتَمَدْ عليه فيها كاعتمادهم في المجهورة فأُخْرِجَ الصوتُ من الفم ضعيفاً ، والدليل على ذلك أنك إذا أخفيت همست بهذه الحروف ، ولا تصل إلى ذلك في المجهورة ، فإذا قلت: شخص فإن الذي أزجى هذه الحروف صوت الفم... » [3].

(١) الكتاب ٤/١٧٤- ١٧٥ .

(٢) يُقال: أَزْجَيْتُ الشيءَ إزجاءً وزَجَّاهُ تَزْجِيَةً: إذا دفعه برفق (ينظر: لسان العرب ٧٣/١٩ زجا) .

(٣) شرح كتاب سيبويه ٤٦١/٦ ، ونقله: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١٢١ ، وهنري فليش: العربية الفصحى ص١٩٩ ، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص١١٤.

وإذا جمعنا ما قاله سيبويه في الكتاب إلى ما رواه السيرافي عنه في شرحه اتضحت فكرة سيبويه عن إنتاج الصوت اللغوي ، وقد تظل بعض الجوانب تحتاج إلى مزيد من البيان ، لكن الفكرة الأساسية صارت واضحة ، فمادة الصوت عند سيبويه هي الهواء ، ويدل ذلك حديثه عن هواء الصوت. ثم الأصوات بعد ذلك تنقسم على قسمين رئيسين هما:

(١) أصوات تخرج بصوت الصدر ، أو يدخلها الصوت الذي يخرج من الصدر ، وهي المجهورة ، والراجح أن سيبويه يريد بصوت الصدر النغمة الحنجرية التي تصدر من اهتزاز الوترين الصوتيين.

(٢) أصوات تخرج من مخارجها ، ويُزْجِي أصواتها صوتُ الفم ، لا صوتُ الصدر ، وهي الأصوات المهموسة.

وتنقسم المجهورة والمهموسة بعد ذلك إلى :

(١) شديدة تمنع الصوت أن يجري معها ، وذلك بحبس النَّفَس في مخارجها.

(٢) رخوة ، وهي التي لا تمنع الصوت من الجريان في المخرج.

(٣) وبين الشديدة والرخوة ، وهي التي تشبه الشديدة في حبس النَّفَس في المخرج لكن هواء الصوت يجد منفذاً من مكان آخر فيجري فيه ، وذلك في مثل الصوت المنحرف والمكرر والأنفي.

ولم تجد فكرة سيبويه عن صوت الصدر وصوت الفم صدى في حديث علماء العربية عن المجهور والمهموس ، وأخذوا بتعريفه للمجهور الذي تحدَّث فيه عن منع النَّفَس أن يجري معه[1]. وتصرف بعض العلماء بتعريف

(١) ينظر: ابن السراج: الأصول ٤٠١/٣ ، وابن جني: سر صناعة الإعراب ٦٩/١.

سيبويه للمجهور والمهموس والشديد على نحو ما فعل المبرد في المقتضب ، فاستعمل (الصوت) في تعريف المجهور ، واستعمل النَّفَس في تعريف الشديد، عكس ما فعل سيبويه ، وذلك في قوله:

« ومن الحروف حروف تجري على النَّفَس ، وهي التي تسمَّى الرخوة.

ومنها حروف تمنع النَّفَس ، وهي التي تسمى الشديدة.

ومنها حروف إذا ردَّدها في اللسان جرى معها الصوت وهي المهموسة.

ومنها حروف إذا ردَّدها ارْتَدَعَ الصوت فيها ، وهي المجهورة» [(١)].

ويكاد شَمِرُ بن حَمْدَوَيْهِ الهَرَوِيُّ (ت ٢٥٥هـ) ينفرد[(٢)] بأخذه بفكرة سيبويه عن صوت الصدر في تعريفه للمجهور والمهموس ، فقال: « الهمس من الصوت ما لا غور له في الصدر ، وهو ما هُمِسَ في الفم... والهمس والهميس حِسُّ الصوت في الفم مما لا إشراب له من صوت الصدر ولا جهارة في المنطق، لكنه كلام مهموس في الفم كالسر» [(٣)].

وشاع بين علماء العربية والتجويد الذين جاءوا بعد سيبويه الجزء الغامض من تعريفه للمجهور والمهموس وهو الذي يصاحبه مَنْعُ النَّفَس أو جريه ، وتلاشى الجزء الواضح منه وهو الذي يصاحبه صوت الصدر أو صوت الفم ، مما مهَّد لبروز فكرة الصوت الساذج ، واضطراب العلماء في تعريف المصطلحين بعد ذلك.

---

(١) المقتضب ١/١٩٤.

(٢) ذكره ابن جني عرضاً في سر صناعة الإعراب ١/٧٣.

(٣) لسان العرب ٨/١٣٧ (همس) ، وورد في كتاب (العين ٤/١٠) من قوله:" حس الصوت في الفم".

المبحث الثالث

تعريف الصوت وكيفية حدوثه عند الحكماء

كان للفلاسفة المسلمين مشاركة في دراسة الصوت بصفته ظاهرة طبيعية ، وكتب أبو علي بن سينا (ت٤٢٨هـ) رسالته في (أسباب حدوث الحروف) ، وكان لأبحاث هؤلاء الفلاسفة الذين سماهم بعض المؤلفين بالحكماء تأثير على تعريف الصوت والحرف عند علماء التجويد المتأخرين خاصة ، وقد يكون لهم دور في ظهور نظرية الصوت الساذج أيضاً ، ومن ثم فإنه من المفيد عرض وجهة نظرهم في الصوت وكيفية حدوثه ، مما وقفت عليه من كلامهم.

ومن أقدم ما وقفت عليه من ذلك قول أبي نصر الفارابي (ت٣٣٩هـ) في كتابه (الموسيقى الكبير): « التصويت الإنساني يحدث بسلوك الهواء في الحُلُوقِ وقَرْعِهِ مُقَعَّرَاتِ أجزاء الحلوق وأجزاء سائر الأعضاء التي يسلك فيها ، مثل أجزاء الفم وأجزاء الأنف.

وهذا الهواء هو الذي يجذبه الإنسان إلى رئتيه وداخل صدره من خارج لِيُرَوِّحَ به عن القلب ، ثم يدفعه منها إذا سَخُنَ إلى الخارج.

فإذا دفع الإنسان هواء النفس إلى خارج جملة وترفق لم يحدث صوتٌ محسوس ، وإذا حصر الإنسان هذا الهواء في رئتيه وما حواليها من أسفل الحلق، وسرَّب أجزاءه إلى الخارج شيئاً شيئاً على اتصال ، وزَحَمَ به مُقَعَّرَ الحلق وصَدَمَ أجزاءه حدثت حينئذ نَغَمٌ بمنْزلة ما يحدث بسلوك الهواء في المزامير ، فإذا ضيَّق مسلكه كانت النغمة أحدَّ ، وإذا وسَّع كانت النغمة أثقل

... واستقصاء أمر الأشياء المعينة بهذه الجهات من المصوتات فليس يحتاج إليه في هذه الصناعة »[١].

وجاء في رسائل إخوان الصفا (فصل في كيفية إدراك القوة السامعة للأصوات) وفيه : « فأما كيفية القوة السامعة للأصوات ، فاعلم يا أخي أن الأصوات نوعان حيوانية وغير حيوانية... والحيوانية نوعان منطقية وغير منطقية ، فغير المنطقية هي أصوات سائر الحيوانات الغير ناطقة[٢] ، وأما المنطقية فهي أصوات الناس ، وهي نوعان: دالة وغير دالة ، فغير الدالة كالضحك والبكاء والصياح ، وبالجملة كل صوت لا هجاء له.

وأما الدالة فهي الكلام والأقاويل التي لها هجاء ، وكل هذه الأصوات إنما هي قرعٌ يحدث في الهواء من تصادم الأجرام ، وذلك أن الهواء لشدة لطافته ، وخفة جوهره وسرعة حركة أجزائه يتخلل الأجسام كلها ، فإذا صدم جسمٌ جسماً آخر انسل ذلك الهواء من بينهما ، وتدافع وتموج إلى جميع

(١) كتاب الموسيقى الكبير ص ١٠٦٦، وتناول الفارابي في كتابه (الحروف) أيضاً الحديث عن إنتاج الأصوات اللغوية فقال : " وظاهر أن تلك التصويتات إنما تكون من القرع بهواء النفس بجزء أو أجزاء من حلقه ، أو بشيء من أجزاء ما فيه وباطن أنفه أو شفتيه ، فإن هذه هي الأعضاء المقروعة بهواء النفس ، والقارع أولاً هي القوة التي تسرب هواء النفس من الرئة وتجويف الحلق أولاً فأولاً إلى طرف الحلق الذي يلي الفم والأنف وإلى ما بين الشفتين ، ثم اللسان يتلقى ذلك الهواء فيضغطه إلى جزء جزء من أجزاء باطن الفم ، وإلى جزء جزء من أجزاء أصول الأسنان وإلى الأسنان ، فيقرع به ذلك الجزء ، فيحدث من كل جزء يضغطه اللسان عليه ويقرعه به تصويت محدود ، وينقله اللسان بالهواء من جزء إلى جزء من أجزاء أصل الفم ، فتحدث تصويتات متوالية كثيرة محدودة ". (وينظر : عدنان محمد سلمان : دراسات في اللغة والنحو ص ١٥٠).

(٢) الأفصح القول : غير الناطقة .

الجهات ، وحدث من حركته شكلٌ كُرَوِيٌّ ، واتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزَّجَّاجُ فيها ، وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجـه ، إلى أن يسكن ويضمحل.

فمن كان حاضراً من الناس وسائر الحيوانات الذي له أُذُنٌ بالقرب من ذلك المكان ، فبتموج ذلك الهواء بحركته يدخل في أُذُنَيْـهِ إلى صِـمَاخَيْهِ في مؤخر الدماغ ، ويتموج أيضاً ذلك الهواء هناك ، فتحس عند ذلـك القـوة السامعة بتلك الحركة وذلك التغيير»[(١)] .

وتحدَّث أبو علي بن سينا (٤٢٨هـ) في رسالته في (أسباب حـدوث الحروف) عن تعريف الصوت ، وسبب حدوثه وعوامل تنوعه ، ومما قالـه: «الفصل الأول: في سبب حدوث الصوت: تقديري أن السبب القريب للصوت تَمَوُّجُ الهواء دفعةً بسرعة وقوة من أي سبب كان ... أما في القرع فباضـطرار أن الهواء إذا صار منضغطاً من القارع وقد وَجَدَ مَخْلَصاً في تلك المسافة الـتي يجري فيها القارع بقوة وسرعة ، وأما في القلع فباضطرار القالع الهـواء الـذي يدفعه من المكان الذي يخلو من الهواء من القالع ، وفي كليهما يلزم انقياد الهواء البعيد التموج وشكل القالع في ذلك المكان ، ويكون الانبساط في القرعي أكثر منه ، وفي القلعي أقل ، ثم يصل ذلك التموج إلى الهواء الساكن في الصِّمَاخِ إلى ذلك العصب المفروش في سطحه»[(٢)].

وقال أيضاً: « الفصل الثاني: في سبب حدوث الحروف: أمـا نَفْـسُ التموج فإنه يفصل الصوت ، وأما حال التموج في نَفْسِهِ من اتـصال أجزائـه

(١) رسائل إخوان الصفا ١/١٨٨-١٨٩.

(٢) أسباب حدوث الحروف ص ٣٠-٣١ ، وينظر: ص٥.

وتلمسها أو تشظيها وتشذبها فيفعل الحدة والثقل ، أما الحدة فيفعلها الأولان، وأما الثقل فيفعله الثانيان ، وأما حال التموج من جهة الهيئات التي يستفيدها من المخارج والمحابس في مسلكه فيفعل الحرف.

والحرف هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزاً في المسموع»(١).

ويتراءى في كلام ابن سينا تمييزه بين الصوت والحرف ، فالتموج يفعل الصوت ، والهيئات التي يستفيدها التموج من المخارج والمحابس في مسلكه يفعل الحرف ، ومن ثَمَّ عَرَّفَ الحرف بأنه: هيئة عارضة للصوت . ويبدو أن فكرة ابن سينا هذه في التمييز بين الصوت والحرف جعلت الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) يتساءل عن الحرف « هل هو نفس الصوت أو هيئة موجودة في الصوت مغايرة له»(٢). ومن التفريق بين الحرف والصوت جاءت فكرة الصوت الساذج ، فيما يترجح عندي ، على نحو ما سنتحدث عن ذلك في المبحث اللاحق ، إن شاء الله .

وتحدَّث الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) في مقدمات تفسيره الكبير عن الحرف والصوت ، ومما قاله في ذلك: « ولاشك أن حدوث الصوت في الحيوان إنما كان بسبب خروج النَّفَس من الصدر ... وأيضاً لاشك أن هذه الحروف إنما تتولد عند تقطيع الصوت ، وهي مخارج مخصوصة في الحلق واللسان والأسنان والشفتين »(٣) .

---

(١) المصدر نفسه ص ٧ ، وينظر: ص٣٢.

(٢) التفسير الكبير ٢١/١.

(٣) التفسير الكبير ٢١/١-٢٢ .

وتحدَّث في موضع آخر عن تعريف الصوت وسبب حدوثه ، وعن تعريف الحرف وعلاقته بالصوت ، فقال: « ذكر الرئيس أبو علي بن سينا في تعريف الصوت أنه كيفية تحدث عن تموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع، وأقول: إن ماهية الصوت مدركة بحس السمع ، وليس في الوجود شيء أظهر من المحسوس حتى يُعَرَّفَ بالمحسوس به ، بل هذا الذي ذكره إن كان ولابد فهو إشارة إلى سبب حدوثه لا إلى تعريف ماهيته » (1) .

ثم قال الرازي: « قيل سببه القريب تَمَوُّجُ الهواء ، ولا نعني بالتموج حركة انتقالية من مبدأ واحد بعينه إلى منتهى واحد بعينه ، بل حالة شبيهة بتموج الهواء ، فإنه يحدث شيئاً فشيئاً لصدم بعد صدم ، وسكون بعد سكون، وأما سبب التموج فإمساس عنيف ، وهو القرع ، أو تفريق عنيف وهو القلع "، ثم نَقَلَ الرازي تعريف ابن سينا للحرف بقوله: " قال الشيخ الرئيس في حد الحرف: إنه هيئة عارضة للصوت ، يتميز بها عن صوت آخر مثله في الخفة والثقل تميزاً في المسموع » (2).

ونقل بعض علماء السلف عبارات هؤلاء الفلاسفة عن تعريف الصوت وسبب حدوثه ، فقال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ): « الصوت هو الهواء المنضغط عن قرع جسمين ، وذلك ضربان: صوتٌ مجرد عن تنفس بشيء كالصوت الممتد ، وتنفس بصوت ما ، والمتنفس ضربان: غير اختياري كما يكون من الجمادات ومن الحيوانات ، واختياري كما يكون من الإنسان، وذلك ضربان: ضرب باليد كصوت العود وما يجري مجراه ، وضرب بالفم ،

(١) المصدر نفسه ٣٥/١ .

(٢) المصدر نفسه .

والذي بالفم ضربان: نطق وغير نطق، وغير النطق كصوت الناي، والنطق منه إما مفرد من الكلام، وإما مركب كأحد الأنواع من الكلام »[1].

وتسربت عبارات الفلاسفة في تعريف الصوت إلى بعض شروح المقدمة الجزرية وجرى جدل في ذلك، فقال التاذفي (ت٩٧١هـ): « والصوت هواء متموج بتصادم جسمين، كما ذكره الجعبري (ت٧٣٢هـ) في شرح الشاطبية، وجزم به ابن الناظم (ت٨٣٥هـ)[2]، وفي شرح حاشية العقائد النسفية لشيخ الإسلام كمال الدين ابن أبي شريف (ت٩٠٥هـ)[3]: إن مطلق الصوت عندنا كيفية تحدث بمحض خلق الله تعالى من غير تأثير لتموج الهواء والقلع والقرع خلافاً للحكماء في زعمهم أنه كيفية في الهواء بسبب التموج المعلول للقرع الذي هو إمساس بعنف، أو القلع الذي هو انفصال بعنف، بشرط مقاومة المقروع للقارع والمقلوع للقالع، فعلى كلا المذهبين لا يكون الصوت هواء أصلاً، وقول القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) في (لطائف الإشارات)[4]: إن الصوت هو الحاصل من دفع الرئة الهواء المحتبس بالقوة الدافعة، فيتموج فيصدم الهواء الساكن فيحدث الصوت من قرع الهواء المندفع من الرئة، إشارةٌ إلى تعريف الصوت الخارج من الفم على رأي الحكماء، لا مطلق الصوت»[5].

وغيرهم تعريف الصوت وسبب حدوثه وكيفية سماعه عن كتب

---

(١) المفردات ص٢٩١-٢٩٢ .

(٢) ينظر: أبو بكر أحمد بن الجزري: الحواشي المفهمة ص٥١ .

(٣) محمد بن أبي شريف القدسي، واسم الحاشية: الفرائد في حل شرح العقائد (ينظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ١١٤٨/٢) .

(٤) لطائف الإشارات ١٨٣/١ .

(٥) الفوائد السرية ٨ظ، وينظر: الفضالي: الدرة المضية ص٤٩.

الحكماء والفلاسفة القدماء أو من كتب الفيزياء المعاصرة ، فإن ذلك مما يساعد على فهم ظواهر النطق على نحو أقرب إلى الحقيقية ، لكن الإشكال في أن تتسرب بعض المفاهيم غير الدقيقة إلى كتب علماء العربية أو التجويد فتشوش على طريقة فهمهم للأصوات اللغوية ، وتفسيرهم لظواهر النطق ، على نحو ما حصل في تعريف الحرف ، وأثر ما سماه البعض بالصوت الساذج في ذلك ، وهو ما نلمح الإيحاء به من تعريف ابن سينا للحرف بأنه هيئة عارضة للصوت.

وإذا كان الفلاسفة والحكماء قد تحدَّثوا عن تعريف الصوت وبينوا أسباب تنوعه واختلافه بمعارف عصرهم فإن نقل عباراتهم كما هي في كتب علم التجويد أو علم الأصوات اللغوية في زماننا لإيضاح عملية التصويت أمر يفتقر إلى الدقة العلمية ، وقد يؤدي إلى ترسيخ مفاهيم غير صحيحة ، وذلك لقصور عباراتهم عن كشف جميع تفاصيل عملية التصويت كما أدركها الباحثون في زماننا ، ومن ثم يلزم الرجوع إلى الكتب الحديثة المؤلفة في الفيزياء والتشريح لتوضيح أجزاء الآلة المصوتة وعملها ، وبيان كيفية حدوث الصوت فيها.

ولاشك في أنَّ من لجأ من علماء العربية والتجويد الأوائل إلى كتب الحكماء في تعريف الصوت لم يجانب المنهج الصحيح ، لكن ذلك أدَّى بهم إلى تبني بعض التصورات غير الدقيقة مثل فكرة الصوت الساذج التي سنتحدث عن ظهورها وآثارها في المباحث الآتية ، إن شاء الله تعالى.

المبحث الرابع
ظهورُ فكرةِ الصَّوْتِ السَّاذَجِ

أخذت تتسلل إلى بعض كتب اللغة العربية في القرن الرابع الهجـري وما بعده المعارف اللغوية التي يتداولها الفلاسفة وأهل المنطق ، وبـرزت في كتابات ابن جني وأسهمت في تشكيل نظريته في تعريف الصوت والحرف ، والتي أخذها عنه بعض علماء العربية وعلماء التجويد.

عقد ابن جني في كتابه (سر صناعة الإعراب) مبحثاً لتعريف الصوت والحرف ، لخص فيه نظريته في كيفية إنتاج الأصوات اللغوية وعوامل تنوعها واختلاف جروسها ، فقال:

« اعلم أن الصوت عَرَضٌ يخرج مع النَّفَس مستطيلاً متصلاً ، حـتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتـداده واسـتطالته ، فيُسَمَّى المقطعُ أينما عَرَضَ له حرفاً ، وتختلف أجـراس الحـروف بحـسب اختلاف مقاطعها ، وإذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك ، ألا ترى أنك تَبْتَدِئُ الصوت من أقصى حلقك ، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت ، فتجد له جرساً ما ، فإن انتقلت عنه راجعاً منه ، أو متجاوزاً لـه ، ثم قطعـت ، أحسست عند ذلك صدىً غير الصدى الأول ، وذلك نحو الكاف ، فإنك إذا قطعت بها سمعت هنا صدى ما ، فإن رجعت إلى القاف سمعت غـيره ، وإن جزت إلى الجيم سمعت غيرَ ذَيْنِكَ الأَوَّلَيْنِ» (١).

---

(١) سر صناعة الإعراب ص٦.

وأنت تلاحظ أن ابن جني يتصور أن الصوت يبتدئ من أقصى الحلق، ثم يخرج مع النَّفَس ، ويتعرض هذا الصوت للاعتراض في تجاويف آلة النطق فتتشكل منه الحروف ، وسمَّى مواضع الاعتراض مقاطع ، وهي في الواقع مخارج الحروف[1].

ويلتقي تعريف ابن جني للصوت والحرف بتعريف ابن سينا لهما ، ويتلخص في أن الصوت: « كيفية تحدث من تموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع» ، وأن الحروف « هيئة عارضة للصوت يتميز بها عن صوت آخر»، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في المبحث السابق ، لكن ابن جني زاد الأمر إيضاحاً وتفصيلاً فكشف عن نظرية الصوت الساذج حين شبَّه الصوت اللغوي بالصوت الصادر من الناي.

قال ابن جني: « ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها ، التي هي أسبابُ تَبَايُنِ أصدائها ، ما[2] شبَّهَ بعضهم الحلق والفم بالنَّايِ[3] ، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملسَ ساذَجاً، كما يجري الصوت في الألف غُفْلاً بغير صنعة ، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة ، ورواح بين أنامله ، اختلفت الأصوات ، وسُمِعَ لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه ، فكذلك إذا قُطِعَ الصوت في الحلق والفم باعتمادٍ على جهات مختلفة ، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة.

(١) ينظر: هنري فليش: التفكير الصوتي عند العرب (بحث في مجلة) ص ٥٨.

(٢) ما: زائدة للتأكيد.

(٣) قال الفارابي في كتابه الموسيقى الكبير (ص١٠٦٦): "فإن الحلوق كأنها مزامير طبيعية ، والمزامير كأنها حلوق صناعية".

ونظير ذلك أيضاً وَتَرُ العود... وإنما أردنا بهذا التمثيل الإصابة والتقريب ، وإن لم يكن هذا الفن مما لنا ولا لهذا الكتاب به تعلق ، ولكن هذا القبيل من هذا العلم ، أعني علم الأصوات والحروف ، له تعلق ومشاركة للموسيقى ، لما فيه من صنعة الأصوات والنَّغَم» (١).

وعلى الرغم من دقة التحليل لدى ابن جني ، وجمال التشبيه ، إلا أن هناك خللاً في تصوره للصوت والحرف ، لأنه يتصوَّر أن هناك مصدراً لإنتاج الصوت الساذج(٢) الذي يشبه صوت الألف ، موضعه أقصى الحلق ، وأن ذلك الصوت يحمله النَّفَس إلى التجاويف العليا لآلة النطق فتتقاطعه ، وينتج من كل مقطع حرف من حروف اللغة.

وقد يكون ابن جني يقصد بالصوت الساذج النغمة الحنجرية التي تنتج من اهتزاز الوترين وتصاحب نطق الأصوات المجهورة وسماها سيبويه بصوت الصدر ، وهو أمر محتمل ، لكننا نجده يتحدث عن الصوت الساذج في إنتاج صوت الكاف ، وهو صوت مهموس لا دور للوترين الصوتيين في نطقه ، ولا وجود للنغمة الحنجرية معه ، وصوته يتكون في مخرجه شأنه شأن كل الأصوات المهموسة.

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/٩-١٠.

(٢) السَّاذَجُ : فارسي معرَّب (الجواليقي: المعرب ص٢٤٦) ، وقيل: هو معرَّب ساذه ، والساذج: الخالص غير المشوب ، وفي اللسان: حجة ساذِجة وساذَجة ، بكسر الذال وفتحها: غير بالغة ، وقال ابن سيده: وأراها غير عربية ، وإنما يستعملها أهل الكلام في ما ليس ببرهان قاطع (ينظر: لسان العرب ٣/١٢١ سذج ، وتاج العروس ٦/٣٣).

ونقل عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ) فكرة ابن جني في الصوت والحرف ملخصة في كتابه الموضح ، فقال: « الألفاظ بأسرها إنما تتركب من حروف وحركات وسكون ، وهذه الأشياء الثلاثةُ لكلٍّ منطوقٍ به كالمادة ، عنها يأتلف ومنها ينشأ ، فالحروف هي مقاطع تعرض للصوت الخارج مع النَّفَس ممتداً مستطيلاً ، فتمنعه عن اتصاله بغايته ، فحيث ما عرض ذلك المقطع سُمِّيَ حرفاً ، وسُمِّيَ ما يُسَامتُهُ ويحاذيه من الحلق والفم واللسان والشفتين مخرجاً ، ولذلك اختلف الصوت باختلاف المخارج والصفات...»(١).

وعَرَضَ أبو محمد الحسن بن علي العمانيُّ في كتابه (الأوسط في علم القراءات) الذي أَلَّفَهُ سنة ٤١٣هـ(٢) لتعريف الحرف والصوت ، وشرح الفكرة التي ذكرها ابن جني ، و لم يصرِّح العمانيُّ بالمصدر الذي اعتمد عليه ، واكتفى بعبارة" قال بعضهم" ، و" بعضهم يُشَبِّهُ" ، وقد يكون هذا البعض ابن جني وقد يكون مصدراً أقدم نقل كلاهما منه ، وأجد من المفيد نقل نص كلام العماني لما فيه من الإضافات المفيدة في التفريق بين الحرف والصوت وبيان دلالة كل منهما عنده.

قال العماني: « اعلم أن الكلام مبنيٌّ من الحروف ، والحرف مُوَلَّدٌ من الصوت ، فأول ما يجبُ علينا تبيينهُ والكشف عنه هو الصوتُ.

---

(١) الموضح ص٨٧.

(٢) الكتاب الأوسط ص٦٢.

قال بعضهم: الصوتُ عَرَضٌ يخرج مع النَّفَس مستطيلاً متصلاً حتى يَعْرِضَ له في الحلق والفم والشفتين مقاطعُ [تثنيه][٣] عن امتداده واستطالته ، فَيُسَمَّى المقطعُ أينما عَرَض له حرفاً ، فهذا قد جَمَعَ بين الصوت والحرف ، وحَدَّهما حَدًّا لا يخرجان عنه ، فأتى باستيفاء المعنى وحُسْنِ العبارة ، غير أنه لا يدرك إلا بالتأمل . وأنا أُبيِّنُهُ بياناً لا يخرج الفهمُ عنه ، إن شاء الله.

اعلم أن الصوت مَنْشَؤُه الصدر ، وهو نَفَسٌ يرتفع إلى الحلق ، فيستطيل ويمتد حتى يحصرَهُ بعض المقاطع ، فينحصرُ هناك ، فإذا حَصَرَه مقطعٌ تولَّد منه حرف ، فأنت إذا أطلعت النَّفَس من صدرك ، ثم ثَنَاه حيِّزٌ سمعتَ له جَرْساً ، فإن انتقلت منه إلى حيِّز آخر سمعت جَرْساً آخر ، فالصوت هو الذي يستطيل ، والمقطع الذي يثنيه عن الامتداد وهو الحرف.

وبعضهم يُشَبِّهُ الحلقَ والفمَ بالناي ، فإن الصوت يخرج فيه ساذجاً أمْلَسَ ، كما يجري الصوت في الألف غُفْلاً ، فإذا وضع الزامرُ أنامله على خروق الناي المشقوقة اختلفت الأصوات ، وسُمِعَ لكل خَرْقٍ منها صوتٌ لا يُشْبِهُ صاحبه ، فكذلك إذا قُطِعَ الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهاتٍ مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصواتَ مختلفة الأجراس»[١].

وشرح رضي الدين الاستراباذي (ت ٦٦٨هـ) نظرية الصوت الساذج بأوفى من ذلك ، حيث قال: « لأن الصوت الساذج هو محل الحروف، والحروف هيئة عارضة له ، غير مخالف بعضه بعضاً في الحقيقة ، بل إنما تختلف بالجهارة واللين والغلظ والرقة ، ولا أثر لمثلها في اختلاف الحروف ، لأن

---

(٣) زيادة من سر صناعة الإعراب لابن جني ٦/١.

(١) الكتاب الأوسط ص ٧٦-٧٧.

الحرف الواحد قد يكون مجهوراً وخفياً ، فإذا كان ساذَجُ الصوتِ الذي هو مادَّةُ الحرفِ ليس بأنواع مختلفة ، فلولا اختلاف أوضاع آلة الحروف ، وأعني بآلتها مواضع تكونها في اللسان والحلق والسِّنِّ والنِّطْعِ والشفة ، وهي المسماة بالمخارج ، لم تختلف الحروف»[(١)]، وكلام الاستراباذي عن الصوت الساذج واضح ، ويدل على أن من أخذ بهذه النظرية يعتقد أن الحروف تتشكل من الصوت الساذج الذي يصدر من أقصى الحلق ، وأن النَّفَس يحمله خلال تجاويف آلة النطق كما صرَّح الاستراباذي نفسه بذلك في قوله: « لأن النَّفَس الخارج من الصدر ، وهو مركب الصوت ، يحتبس إذا اشتد اعتماد الناطق على مخرج الحرف»[(٢)].

ونقل بعض شرَّاح الجزرية فكرة الصوت الساذج ، لكنه جعله خاصاً بالحيوان غير الآدمي ، وأن أصوات البشر تُشَبَّهُ به ، فقال عمر بن إبراهيم المسعدي (ت ١٠١٧هـ) وهو يتحدث عن حروف المد الثلاثة : « وهذه الثلاثة بالصوت الساذج أشبه ، لكنها تتميَّزُ عنه بتَصَعُّدِ الألف ، وتَسَفُّلِ الياء، واعتراض الواو ، والصوت الساذج هو العاري عن الحركات والسكنات ، ويكون في الحيوان غير الآدمي... »[(٣)]، وأحسب أن تخصيص المسعدي له بالحيوان غير الآدمي محض اجتهاد ، وكلام ابن جني والاستراباذي صريح بنسبته لحلوق البشر.

---

(١) شرح الشافية ٣/٢٥٠.

(٢) المصدر نفسه ٣/٢٥٩.

(٣) الفوائد المسعدية ص٣٢.

و لم يرد مصطلح الصوت الساذج في معظم كتب علم التجويد ، لكن ظهرت فيها آثار الفكرة التي يشير إليها هذا المصطلح ، وهي أن حروف اللغة تمر بمرحلتين ، الأولى: مرحلة الصوت الساذج ، والتي لم يبين القائلون بها مصدر هذا الصوت ، سوى أنهم قالوا إنه يخرج من أقصى الحلق ، وقال عمر ابن إبراهيم المسعدي: « .. مادة الصوت ، وهي الهواء الخارج من الجوف الحاصل بتموج الرئة» [1].

والمرحلة الثانية: هي مرحلة تَشَكُّلِ الصوت الساذج حروفاً ، حين تعترض آلة النطق ذلك الصوت.

ويبدو لي أن عدم انكشاف الوترين الصوتيين للنظر ، وعدم وضوح دورهما في إنتاج الأصوات اللغوية لدى علماء العربية والتجويد المتقدمين قد مَهَّدَ لقبولهم فكرة الصوت الساذج الذي يصدر من أقصى الحلق وتقوم أعضاء آلة النطق بتقطيعه حروفاً ، وإذا كان المقصود بالصوت الساذج النغمة الحنجرية التي تصدر من اهتزاز الوترين الصوتيين التي تصاحب نطق الأصوات المجهورة ، فإن ذلك أمر صحيح ومقبول ، لكن القائلين بفكرة الصوت الساذج والآخذين بها في تفسير عملية التصويت يعدون الصوت الساذج المادة الخام لجميع الأصوات المجهورة والمهموسة ، وهو ما لا يستقيم مع حقيقة أن الأصوات المهموسة تتكون في مواضعها ويصدر صوتها من مخارجها.

ولا يخفى على القارئ أن مفهوم الصوت الساذج يقرب من مفهوم (صوت الصدر) الذي قال به سيبويه ، لكن سيبويه جعل معه (صوت الفم)

(١) الفوائد المسعدية ص٣٤.

الذي فسَّر به حصول الأصوات المهموسة ، ومن ثم فإن فكرة سيبويه أقرب إلى الصواب ، أو هي الحقيقية بعينها ، لكن علماء التجويد خاصة المتأخرين منهم تأثروا بفكرة الصوت الساذج في تعريف الحرف والصوت، وأغفلوا ما قاله سيبويه عن صوت الصدر وصوت الفم ، على نحو ما سنوضح في المبحث الآتي.

المبحث الخامس
أثر فكرة الصوت الساذج على علماء التجويد

كان جُلُّ اهتمام علماء التجويد المتقدمين منصبّاً على المسائل العملية في النطق وبيان ما يُسَهِّلُ تطبيق الأحكام وضبط الأداء ، أما المسائل النظرية والتعريفات والتعليلات العقلية فكان اهتمامهم بها محدوداً ، لكن المتأخرين وَسَّعُوا دائرة اهتمامهم ، واستفادوا مما دوَّنه الفلاسفة في تعريف الصوت وأسباب تنوعه ، وأطال بعضهم الوقوف عند ظاهرة الصوت ، وكان يحول بينهم وبين بلوغ نهاية الشوط في إدراك حقيقة الصوت الإنساني أمران :

الأول: عدم معرفة دور الوترين الصوتيين في إنتاج الأصوات .

والثاني: التراث النظري الذي ورثوه عن سابقيهم وفيه ما هو مفيد ، وفيه ما هو معيق عن إدراك الحقيقة.

وإذا كان لعلماء التجويد في العصور السابقة عذرهم في أنهم بذلوا جهدهم في فهم الحقائق العلمية المتعلقة بالصوت في ضوء معارف عصرهم ، فإن المؤلفين في العصر الحديث في علم التجويد لم ينتفعوا بما كشفه التقدم العلمي في ما يتعلق بدور الوترين الصوتيين في إنتاج الصوت ، وفي ما يتعلق

بإدراك حقيقة الصوت وكيفية تنوعه . فبقيت آثار نظرية الصوت الساذج تتراءى في كتاباقم ، وظلَّ الغموض المترتب على عدم إدراك دور الوترين في إنتاج الصوت مهيمناً على عباراقم ، ويترتب على ذلك آثار سلبية على استيعاب المتعلمين لقواعد هذا العلم الشريف وفهم أحكامه .

(١) موقف علماء التجويد المتقدمين

إن المؤلفات الجامعة في علم التجويد ظهرت في القرن الخامس الهجري، وأشهر ما وصلنا من تلك المؤلفات: كتاب (الرعاية) لمكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) ، وكتاب (التحديد) لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) وكتاب (الموضح) لعبد الوهاب القرطبي (٤٦٢هـ) ، وسوف أتتبع أقوالهم المتعلقة بإنتاج الأصوات اللغوية وعوامل تنوعها في هذه الكتب الثلاثة .

خصَّص مكي في أول كتاب (الرعاية) عدداً من الأبواب تحدَّث فيها عن فضل القرآن وفضل قراءته وآداب القارئ والمقرئ ، ثم انتقل للحديث عن الحروف التي يؤلَّفُ منها الكلام ، وعلَّل تسمية كل منها حرفاً بقوله: «وإنما سُمِّيَ كل واحد من هذه التسعة والعشرين على اختلاف ألفاظها حرفاً لأنه طرف للكلمة كلها ، طرفٌ في أوَّلها وطرفٌ في آخرها ، وطرفُ كلِّ شيءٍ حَرْفُهُ من أوله ومن آخره» [(١)].

وتحدَّث عن المتحرك والساكن وأحوالهما ، ثم أطال في الحديث عن صفات الحروف وألقابها ، فذكر أربعة وأربعين لقباً ، قال في آخر الحديث

(١) الرعاية ص٩٣.

عنها: « فاعرف هذه الصفات والألقاب ، واختلاف معانيها وأحكامها وطباعها ، فلولا اختلاف صفات الحروف ومخارجها وأحكامها وطباعها التي خلقها الله – جلَّ ذكره- عليها ، ما فُهِمَ الكلام ولا عُلِمَ معنى الخطاب ، ولكانت الأصوات ممتدة لا تُفْهَمُ ، من مخرج واحد ، وعلى صفة واحدة كأصوات البهائم... قال[أبو عثمان المازني ت٢٤٨هـ]:ولو كانت المخارج واحدة ، والصفات واحدة ، لكان الكلام بمنْزلة أصوات البهائم التي لها مخرج واحد ، وصفة واحدة لا تُفهم... »[1].

ولا يبدو في كلام مكي هذا أي أثر لفكرة الصوت الساذج ، على الرغم من حديثه عن أصوات البهائم التي تأتي على صفة واحدة ، والتصور العام لإنتاج الأصوات اللغوية في هذا النص لا يتعارض مع ما هو مقرر في علم الأصوات في زماننا ، على الرغم من حاجته إلى الوضوح والتفصيل.

و لم يخرج مكي في تعريف المجهور والمهموس ، والشديد والرخو ، عما قرَّره سيبويه من قبل ، فقد حافظ على عباراته ومصطلحاته ، فقال في تعريف المجهور: «حرفٌ قَوِيٌّ يَمْنَعُ النَّفَس أن يَجْرِيَ معه» ، وعرَّف المهموس بقوله: « حَرْفٌ جَرَى مَعَ النَّفَسَ»[2]. وعرَّف الشديد بأنه: « مَنَعَ الصَّوْتَ أن يجريَ معه»[3]، وقال عن الصوت الرخو: « جرى معه الصوت » ، وأضاف: « ألا ترى أنك تقول(الس) ، (الش) فيجري النَّفَس والصوت معهما»[4].

(١) الرعاية ص ١٤٢-١٤٣.

(٢) الرعاية ص ١٦-١٧.

(٣) الرعاية ص ١١٧.

(٤) الرعاية ص ١١٩.

وإذا كان تأثير فكرة الصوت الساذج غير واضحة في كلام مكي في الرعاية فإن تأثير عدم إدراك دور الوترين في إنتاج الأصوات يبدو واضحاً من خلال احتفاظه بعبارات سيبويه ، ومن خلال الجمع بين (النَّفَس والصوت) في تعريف الصوت الرخو.

وورد في كلام مكي عن وصف الهمزة بالجَرْسي قوله:« سُمِّيَت بذلك لأن الصوت يعلو بها عند النطق بها... والجَرْسُ في اللغة الصوت ، فكأنه الحرفُ الصوتيُّ ، أي المصوَّتُ به عند النطق ، وكل الحروف يصوَّتُ بها عند النطق بها ، لكن الهمزة لها مزية زائدة في ذلك»[1].

وقول مكي: « وكل الحروف يصوَّت بها" قد يشير إلى اعتقاده أن كل صوت إنما يتكون في مخرجه ، لا أن الصوت الساذج يخرج من أقصى الحلق ثم يُشَكِّلُهُ حرفاً اقتطاعه في مخرج ، كما يقول أصحاب هذه النظرية.

وكان أبو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) أكثر اقتصاداً من مكي في الحديث عن عملية التصويت ، واكتفى بالحديث عن تعريف المجهور والمهموس ، والشديد والرخو ، ولم يخرج في ذلك عن عبارات سيبويه ومصطلحاته ، فقال:" فالمهموسة عشرة أحرف... ومعنى المهموس أنه حرف أُضعف الاعتماد في موضعه ، فجَرَى معه النَّفَس ، والمجهورة هي ما عدا المهموسة ... ومعنى المجهورة أنه حرف قَوِيَ الاعتماد في موضعه فمنعَ النَّفَس أن يجريَ معه»[2].

(١) الرعاية ص ١٣٣.

(٢) التحديد ص ١٠٥- ١٠٦.

وقال أيضاً: « والشديد ثمانية أحرف... ومعنى الشديد أنه حرف اشتد لزومه لموضعه ، حتى منع الصوت أن يجريَ معه... وأما الرخوة فثلاثة عشر حرفاً... ومعنى الرخو أنك إذا قلت: الظش والغض أجريت فيه الصوت إن شئت».

ولَخَّص عبد الوهاب القرطبي (٤٦٢هـ) في كتابه (الموضح) الأفكار التي تضمنتها المصادر التي اعتمد عليها ، وفي مقدمتها كتاب سر صناعة الإعراب لابن جني ، والرعاية لمكي ، والتحديد للداني ، ويتضح ذلك في ما كتبه عن عملية التصويت ، فتأثر بنظرية الصوت الساذج ، ولخص ما قاله ابن جني حولها[١]، وسبق نقل كلامه في المبحث الخاص بها.

وحافظ عبد الوهاب القرطبي على تعريف سيبويه للصوت المجهور والمهموس ، والشديد والرخو ، واستعمل في تعريف الأوَّلَيْنِ مصطلح مَنْعِ النَّفَسِ وجَرْيِهِ ، ومع الأخيرين مَنْعِ الصوت وجَرْيِهِ ، وهو عين ما قاله سيبويه من قبل[٢].

و لم يخرج علماء التجويد في القرون اللاحقة للقرن الخامس عما تقرَّر في المصادر الأولى لعلم التجويد ، في تعريف المجهور والمهموس والشديد والرخو ، مع عدم وجود أثر واضح لنظرية الصوت الساذج فيها[٣].

(١) الموضح ص ٧١.

(٢) الموضح ص ٨٨-٨٩.

(٣) ينظر: العطار: التمهيد ص ٢٨٠ ، والمرادي : المفيد ص ٤٨ ، وابن الجزري: التمهيد ص٩٧-٩٨.

(٢) موقف علماء التجويد المتأخرين

ليس هناك مقياس ثابت لتمييز المتأخرين من المتقدمين ، فكل من سبقنا فهو متقدِّم علينا ، والعرف هو الذي يحدد ذلك ، وأقصد بالمتأخرين في هذا المقام من عاش بعد عصر ابن الجزري من علماء التجويد ، والذي يُسَوِّغُ مثل هذا التحديد أن دراسة علم التجويد اتخذت منحى جديداً بعد ابن الجزري يتلخص في أمرين :

الأول: أن أكثر المؤلفات التي كُتِبَتْ بعد ابن الجزري في علم التجويد كانت شرحاً لمنظومته : «المقدمة في ما على قارئ القرآن أن يعلمه».

الثاني: أن كتابات العلماء في هذه الحقبة اتسمت بالتدقيق والتفصيل من خلال شرح ألفاظ المقدمة ، أو من خلال معالجة المسائل التي أثارها شرّاحها.

وقد يطول الحديث إذا قصدنا تتبع ما قاله كل شارح أو مؤلِّف من هذه الحقبة ، حول عملية التصويت ، ومن ثم فإني سوف أقتصر على عرض وجهة نظر عدد من العلماء الذين يعكسون تصور أهل زمانهم حول الموضوع، مع التركيز على بعض الأفكار التي أبدعتها كتابات بعضهم ، ومحاولتهم كشف القناع عن الحقائق المتعلقة بإنتاج الصوت اللغوي وعوامل تنوعه.

وسوف أعرض وجهة نظر ابن الناظم أبي بكر أحمد بن الجزري (ت٨٣٥هـ) ، وهو أول من شرح المقدمة الجزرية ، وكان لشرحه تأثير مستمر على الشرّاحِ اللاحقين والمؤلفين الآخرين في علم التجويد ، ثم أعرض نصّاً نادراً يُصَوِّرُ عملية التصويت صاغه عصام الدين أحمد بن مصطفى الشهير

بطاش كبري زاده(ت ٩٦٨هـ) في شرحه على المقدمة ، وأختم المبحث بعرض وجهة نظر خاتمة المحققين محمد بن أبي بكر المرعشي الملقب ساجقلي زاده (ت١١٥٠هـ) الذي كان ذا فكر صوتي رائد لم يَحُلْ بينه وبين بلوغ الحقيقة الكاملة لعملية التصويت إلا تداعيات الصوت الساذج ، وغموض دور الوترين الصوتيين في إنتاج الأصوات اللغوية.

١. قول ابن الناظم:

أبدأ بعرض ما قاله ابن الناظم ، وكلامه موزَّع في أكثر من مكان ، وسوف أنقل ما له علاقة بعملية التصويت ، وتعريف الحرف والصوت ، وهو يتعلق بثلاث قضايا :

الأولى: تعريف الحرف والصوت ، قال: « المخارج: جمع مخرج ، اسم لموضع الخروج ، وهو عبارة عن الحيِّز المولد للحرف.

والحروف: جمع حرف ، ويريد حروف الهجاء لا حرف المعنى ، وسُمِّيَ بذلك لأنه غاية الطرف وغاية كل شيء حرفه ، أي طرفه.

ومادتُهُ: الصوتُ، وحَدُّه:هواء متموِّجٌ بتصادم جسمين،ومن ثَمَّ عمَّ به.

والحرفُ صوتٌ معتمدٌ على مقطعٍ محقَّقٍ أو مقدَّرٍ ، ويختص بالإنسان وضعاً ، والحركة عَرَضٌ تَحُلُّهُ» (١).

والثانية: مخرج حروف المد ، قال: « ويقال لهذه الثلاثة: حروف المد واللين ، وحروف العلة ، والجوفية والهوائية ، لأن مخرجهن من جوف الفم

(١) الحواشي المفهمة ص ٥١.

والحلق ، وهو الخلاء ، وليس لهنَّ حيِّزٌ ، ولذلك أشار بقوله: (للهواء تنتهي)، **وهُنَّ بالصوت أشبه** ، ويتميزن عنه بتصعد الألف ، وتسفل الياء ، واعتراض الواو» [٢].

والثالثة: تعريف المجهور والمهموس ، والشديد والرخو ، قال: «وسُمِّيَتْ هذه الحروف مهموسة لجريان النَّفَس فيها...

وسميت هذه الحروف مجهورة لمنع النفس أن يجري معها...

وسميت شديدة لمنعها الصوت أن يجري معها...

والرخاوة في اللغة اللين، وسميت بذلك لجري النَّفَس معها والصوت»[١].

وقال ابن الناظم في توضيح الأصوات المتوسطة: « والحروف التي بين الرخوة والشديدة خمسة ، يجمعها قولك: (لِنْ عُمَر) ، وهي: اللام والنون ، والعين ، والميم ، والراء . وإنما سُمِّيَت أو وُصِفَت بذلك لأن الرخوة إذا نُطِقَ بها في نحو: اجلسْ وافرشْ جرى معها النَّفَس والصوت ، والشديدة إذا نُطِقَ بها في نحو: اضربْ واقعدْ انحبس الصوت والنَّفَس معها ، ولم يجريا ، والتي بين الرخوة والشديدة إذا نُطِقَ بها في نحو: انْعَمْ واعْمَلْ لم يجر الصوت والنفس معهما جريانهما مع الرخوة ، ولم ينحبس انحباسهما مع الشديدة » [٢].

ويمكن لمح أثر نظرية الصوت الساذج في كلام ابن الناظم في تعريفه للحرف بقوله: صوت معتمد على مقطع محقق أو مقدر ، وكذلك في قوله

---

(٢) المصدر نفسه ص ٥٢.

(١) المصدر نفسه ص ٥٧-٥٨.

(٢) المصدر نفسه ص٥٩ .

عن حروف المد: «وهن بالصوت أشبه» ، وهو يريد بذلك الصوت الساذج، وقد جاءت العبارة لدى المسعدي:« وهذه الثلاثة بالصوت الساذج أشبه» [٣].

وكذلك يمكن لمح أثر غموض دور الوترين في إنتاج الأصوات ما حصل من تداخل في تعريف المجهور والمهموس ، والشديد والرخو ، وقد سبقت الإشارة إلى أن سيبويه استعمل مصطلح (النَّفَس) مع المجهور والمهموس ، ومصطلح (الصوت) مع الشديد والرخو ، وحافظ علماء العربية على هذا التقليد ، وتابعهم كثير من علماء التجويد ، لكن بوادر التداخل بينهما بدأت تظهر ، فقال مكي: « ألا ترى أنك تقول: السّ ، الشّ ، فيجري النفس والصوت معهما» [١]، وهو ما نقله ابن الناظم عنه.

وقد تابع كثير من شرَّاح المقدمة الجزرية وغيرهم من المتأخرين ابن الناظم في ما سَطَّرَهُ في شرحه للمقدمة عن الحرف والصوت ، وعن تعريف المجهور والمهموس والشديد[٢].

٢. قول طاش كبري زاده:

وتابع طاش كبري زاده (ت ٩٨٦ﻫ) ابن الناظم في جميع ما قاله عن الحرف والصوت وتعريف المجهور والشديد[٣]، لكنه أتى بقول متميِّز في وصف عملية التصويت لم أجده بنصه عند أحد ممن كان قبله ، ونقله عنه

---

(٣) الفوائد المسعدية ص٣٢ .

(١) الرعاية ص ١١٩.

(٢) ينظر: المزي: الفصول المؤيدة ص ٥٥-٥٦ ، وزكريا الأنصاري: الدقائق المحكمة ص ١٩ ، وعلي القاري: المنح الفكرية ص٨ ، والبرلوي: الدر النضيد ص ٢٤و٤٥.

(٣) ينظر: شرح المقدمة الجزرية ص ٦٨و٨٧.

بعض من جاء بعده[٤]، وذلك قوله: « **فائدة مهمة:** اعلم أن الهواء الخارج من داخل الإنسان إن خرج بدفع الطبع يُسَمَّى نَفَساً بفتح الفاء ، وإذا خرج بالإرادة وعرض له تموُّج بتصادم جسمين يُسَمَّى صوتاً ، وإذا عرض للصوت كيفيات مخصوصة بسبب آلات مخصوصة يسمى حروفاً ، وإذا عرض للحروف كيفيات أُخَرُ عارضة بسبب الآلات تُسَمَّى تلك الكيفيات صفات.

ثم إن النَّفَس الخارج الذي هو وظيفة حرف إن تكيف كله بكيفية الصوت حتى حصل صوت قوي كان الحرف مجهوراً ، وإن بقي بعضه بلا صوت يجري مع الحرف كان الحرف مهموساً ، وأيضاً إذا انحصر صوت الحرف في مخرجه انحصاراً تامّاً فلا يجري يسمَّى شدة ، كما في (الحج) فإنك لو وقفت على قولك: الحج ، وجدت صوتك راكداً محصوراً حتى لو رمت مد صوتك لم يمكنك ، وأما إذا جرى الصوت جرياناً تامّاً ولا ينحصر أصلا يسمى رخوة[كذا] ، كما في (الطش) ، فإنك إذا وقفت عليها وجدت صوت الشين جارياً تمده إن شئت ، وأما إذا لم يتم الانحصار ولا الجري يكون متوسطاً بين الشدة والرخاوة ... »[١].

وهذا النص يعالج عملية التصويت بدءاً بالصوت والحرف ، وانتهاء بتعريف المصلحات الأربعة: المجهور والمهموس ، والشديد والرخو ، ولا يخفى على القارئ أثر نظرية الصوت الساذج على تعريف طاش كبري زاده للصوت ، فهو يجعل تحول النفس إلى حرف يمر بثلاث محطات: النَّفَس – الصوت – الحرف ، ولو أنه دمج مرحلتي الصوت والحرف في محطة واحدة

(٤) ينظر علي القاري: المنح الفكرية ص١٤ ، والمرعشي: جهد المقل ص١٢٣.

(١) شرح المقدمة الجزرية ص٨٩-٩٠ .

لطابق المحدثين في تصورهم لحدوث الصوت ، لكن نظرية الصوت الساذج أفسدت عليه ذلك .

وكذلك لم يتخلص طاش كبري زاده من أثر عدم وضوح دور الوترين الصوتيين في عملية التصويت في تعريفه للمجهور والمهموس ، واضطر إلى القول بأن المهموس يبقى بعضه بلا صوت ، وبعضه يجري بصوت ليتوافق مع نظرية الصوت الساذج ، ومع ذلك فإنه استطاع أن يتخلص من عقدة (النَّفَس والصوت) في تعريف المصطلحات الأربعة ، على نحو ما ترى ، وهذا إنجاز كبير حققه طاش كبري زاده ، ومهَّد الطريق للمرعشي من بعده لتدوين بعض الأفكار الجديدة في فهم عملية التصويت ، وإن لم يتخلص نهائياً من آثار النظريات السلبية السابقة .

٣. قول محمد المرعشي

استطاع محمد المرعشي (ت ١١٥٠هـ) أن يخرج من فلك المقدمة الجزرية، في وقت كان أكثر علماء التجويد يحرصون على شرحها ، فألَّف كتابه (جهد المقل) ثم لم يلبث أن كتب عليه تعليقات بمثابة الشرح له ، وأتى في الكتابين بتحقيقات دقيقة لكثير من المسائل الصوتية ، وما يهمنا هنا هو ما كتبه عن عملية التصويت ، ومدى تأثره بالأفكار الصوتية التي كانت سائدة ، وما قَدَّمَهُ من تعديل لبعض العبارات أو التعريفات المتعلقة بذلك .

قال في كتابه (جهد المقل) معلقاً على تعريف علماء التجويد لكل من المجهور والمهموس ، والشديد والرخو ، محاولاً الكشف عن العلاقة بين النَّفَس والصوت: « فصل: اعلم أن مبدأ أصوات جميع الحروف عند الجهر

بالقراءة جَهْرِيٌّ ، ولو كان الحرف مهموساً ، وإن صوت الحرف وإن كان مجهوراً فهو لا يتحقق بدون النَّفَس ، لأن حقيقة الصوت هو النَّفَس المسموع، كما سبق[(١)].

فاحتباسُ الصوت يستلزم احتباسَ النَّفَس معه ، وجَرْيُهُ جَرْيَهُ، وإنَّ نَفَس الحروف وإن كان مهموساً فهو لا ينفك عن الصوت ، لأن حقيقة الحرف هو الصوت المعتمد على المخرج كما سبق.

وإنَّ نَفَسَ الحرف المجهور قليلٌ ، ونَفَسَ الحرف المهموس كثيرٌ[(١)]، فما ذَكَرَ أنه قد يجري النَّفَس ولا يجري الصوت كالكاف والتاء ، أي المثناة الفوقية ، معناه يجري النَّفَسُ الكثير ولا يجري الصوت القوي الذي حصل في مبدأ الحرف ، وليس المراد نفي جريان الصوت بالكلية ، أَلاَ ترى أنه ذكر أنَّ صوت الشين في (الطش) جارٍ تمدُّه إن شئت ، مع أن الشين صوت مهموس كالكاف والتاء ، وما ذكره أنه قد يجري الصوت ولا يجري النَّفَس كالضاد والغين ، يعني المعجمتين ، معناه: يجري الصوت القوي ولا يجري معه نَفَسٌ كثيرٌ ، كما يجري في المهموس ، وليس المراد نفيُ جريانِ النَّفَس بالكلية ، ألا ترى إلى ما قال البعض: إن الرخاوة جريان الصوت والنَّفَس.

(١) قال المرعشي (جهد المقل ص ١٢٣):" اعلم أنَّ النَّفَس الذي هو الهواء الخارج من داخل الإنسان إن كان مسموعاً فهو صوت ، وإلا فلا ، والصوت إن اعتمد على مخرج محقق أو مقدر فهو حرف ، وإلاَّ فلا". ولا يخفى على القارئ أثر مقولة الصوت الساذج في كلام المرعشي هذا .

(١) قال الدكتور محمد السعران (علم اللغة ص ١٢٧):" وما هو جدير بالملاحظة أن الصوامت المهموسة يحتاج نطقها إلى قوة من (إخراج النَّفَس) (= الزفير) أعظم من التي يتطلبها نطق الصوامت المجهورة ، ويمكن أن نلمس هذا الفارق في قوة النفس إذا بسطنا الكف أمام الفم ، ونحن ننطق صامتاً مهموساً ، مثلوّاً بنظيره المجهور: ث ، ذ/ س ، ز... إلخ".

إذا علمت هذا فاعلم أن صوت الحرف ونَفَسَهُ إما أَنْ يَحْتَبِسَا بالكلية فيحصل صوت شديد ، وهو في الحروف الشديدة ، أو لا يحتبسا أصلاً بل يجريا جرياناً كاملاً ، وهو في الحروف الرخوة ، أو يتوسطا بين كمال الاحتباس وكمال الجري وهو في الحروف البينية ، فهذه ثلاثة أنواع :

ففي النوع الأول: إنْ جَرَى بعد ذلك الاحتباس نَفَسٌ كثيرٌ فالحرف شديد مهموس ، وإن لم يَجْرِ فالحرف شديد مجهور.

وفي النوع الثاني: إن كان صوت الحرف جارياً كله مع نَفَسٍ قليل فالحرف رخو مجهور ، وإن كان جارياً كله مع نفس كثير فالحرف رخو مهموس...

والنوع الثالث: مجهور كله... »[1].

ويبدو أن المرعشي لم يجد تفريق العلماء قبله بين الشديد والمجهور ، والرخو والمهموس ، من خلال جري الصوت والنَّفَس وعدم جريه ، متوافقاً مع ما يُحِسُّهُ من أن الصوت لا ينفك عن النَّفَس ، فلجأ إلى قوة جري النّفس وضعفها في التفريق بينهما ، على نحو ما مرَّ في كلامه السابق ، وهي وسيلة عملية تعكس بعض خصائص هذه الأصوات ، واستطاع المرعشي أن يُعَوِّضَ عن عدم معرفته بدور الوترين الصوتيين في عملية التصويت بالآثار التي تترتب على اهتزازهما مع المجهور ، وسكونهما مع المهموس ، على نحو ما وَجَدَ سيبويه من قبل في (صوت الصدر) و(صوت الفم) وسيلة للتمييز بينهما ، فالصوت القوي المصاحب للحروف المجهورة عند المرعشي هو النغمة

(١) جهد المقل ص ١٤٥-١٤٧.

الحنجرية التي تترتب على اهتزاز الوترين الصوتيين ، عكس الحروف المهموسة التي لا يصاحب نطقها ذلك الصوت .

وزاد المرعشي في كتابه (بيان جهد المقل) هذا المقياس الجديد للتفريق بين المجهور والمهموس ، والشديد والرخو ، توضيحاً وتأكيداً وذلك قوله: « جَرْيُ النَّفَسِ: يعني جَرْيَ نَفَسٍ كثير ، لأن المخرج إذا ضعف الاعتماد عليه ينسلُّ النَّفَسُ كثيراً ، ويَضْعُفُ الصوت ، وإذا قوي الاعتماد لا يَنْسَلُّ النَّفَسُ كثيراً ويَقْوَى الصوت ، ثم إن المجهور الرخو يجري نفسه قليلاً مع صوته، لأن النَّفَس داخل في حقيقة الصوت ، كما سبق في التتمة[1] ، فلا ينفك جريان الصوت عن جريان النَّفَس ، فالمراد بعدم جريه في الجهر عدم جري النَّفَس الكثير ، سواء لم يجر أصلاً كما في المجهور الشديد ، أو جرى قليلاً كما في المجهور الرخو»[2].

وقال في موضع آخر من (بيان جهد المقل) : « وأما إذا كرَّرْتَ المجهور والمهموس الرخوين ، كما إذا كرَّرْتَ الذال المعجمة والسين المهملة محركتين ، لا تجد النَّفَسَ محصوراً بل جارياً في كليهما ، وذلك لأن الرخاوة جري الصوت ، وهو لا ينفك عن جري النفس ، لأن النَّفَس ركن الصوت ، لكن جري النفس في المهموس الرخو أكثر من جريه في المجهور الرخو ، فيوجد الفرق أيضاً ، لكنه لا يعرفه إلا المهرة»[3].

---

(١) ينظر: جهد المقل ص ١٢٣.

(٢) بيان جهد المقل ١٤ظ.

(٣) المصدر نفسه ١٥و.

وقال أيضاً: « لأن جريان الصوت يستلزم جريان النَّفَس ، لأن النفس داخل في حقيقة الصوت كما سبق ، لكنا قلنا بدله : مع نَفَسٍ قليل أو كثير لأجل التفصيل ، ثم إن المراد من جري الصوت هنا تمام جريه ، وعدم انحصاره أصلاً ، لا في مبدئه ولا في منتهاه ، فالمراد من احتباس الصوت والنفس في الشديدة أعم من أن يوجد بعدَ احتباسِهِمَا جَرْيُهُمَا كما في الكاف والتاء المثناة الفوقية ، أو لا يوجد كما في حروف: قطب جد ، فإن هذه الحروف وإن وُجِدَ فيها بعد احتباس صوهما صوت زائد عند فتح مخارجها ، لكن ذلك الصوت آني غير جارٍ ، وهذا غاية البيان والله الموفق»[1].

ولا يتسع المقام لتتبع كل ما قاله المرعشي عن عملية التصويت وعوامل تنوعها ، وفي ما قاله جوانب تستحق أن يوقف عندها وتسليط الضوء عليها ، ولا يعني ذلك أن كل ما قاله مسلم به ، لاسيما أن بعض رواسب نظرية الصوت الساذج لا تزال تتراءى في بعض ما كتبه ، مع عدم وضوح دور الوترين الصوتيين لديه.

لكن اعتماده لكثرة النَّفَس وقلته في التفريق بين المجهور والمهموس يدل على دقة نظره وعمق تحليله ، بعد أن أَيَّدَ الدرس الصوتي الحديث هذه الملاحظة ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

(٣) موقف المؤلفين في علم التجويد في العصر الحديث من فكرة الصوت الساذج

(١) المصدر نفسه ١٥ظ-١٦و.

ليس هناك حدٌّ فاصل بين العصر الحديث والقديم ، لكننا يمكن أن نَعُدَّ القرنين الأخيرين ضمن العصر الحديث ، ويتصدر كتب هذه الحقبة كتاب الشيخ محمد مكي نصر (كان حيّاً ١٣٠٥هـ) المسمَّى (نهاية القول المفيد في علم التجويد) ، الذي جمع فيه مؤلفه خلاصة ما سطرَّه علماء التجويد المتأخرون ، من شرَّاح المقدمة الجزرية وغيرهم ، وذكر أنه استمد مادته من أربعة وعشرين كتاباً ، منها سبعة من شروح المقدمة[٢].

وتابع الشيخ محمد مكي نصر علماء التجويد في تفسير عملية التصويت وتعريف الصفات الصوتية ، وخصص فصلاً لبيان ما تُعْرَفُ به الصفة من همس وجهر ونحوهما ، نَقَلَ فيه قول طاش كبري زاده في إنتاج الأصوات وكيفية تنوعها[١]، ثم عرَّف المصطلحات الأربعة بالتعريف المشهور بين علماء التجويد فقال:

الجهر: انحباس جري النَّفَسِ عند النطق[٢].

والهمس: جريان النَّفَسِ عند النطق بالحرف[٣].

والشدة: انحباس جري الصوت عند النطق بالحرف[٤].

والرخاوة: جريان الصوت مع الحرف[٥].

---

(٢) ينظر: نهاية القول المفيد ص٣.

(١) ينظر: المصدر نفسه ص٤١.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٤.

(٣) المصدر نفسه ص ٤٥.

(٤) المصدر نفسه ص ٤٦.

(٥) المصدر نفسه .

ونقل بعد أن فرغ من الحديث عن هذه الصفات كلام المرعشي في العلاقة بين هذه الصفات ودور الصوت والنفس في تحققها[٦].

وإذا كان محمد مكي نصر قد عاش في حقبة مبكرة من العصر الحديث وكان يعتمد على كتب التجويد المتأخرة فإن العقود الأخيرة قد أتاحت للمؤلفين في علم التجويد مصدرين جديدين هما: الكتب الأصول لهذا العلم من مؤلفات القرن الخامس والقرون التي تلته ، وكتب علم الأصوات الحديث ، لكن معظم مَن كتب في علم التجويد في العقود الأخيرة لم يستفد من هذين المصدرين ، وهيمنت على كتاباتهم رواسب فكرة الصوت الساذج، وعدم وضوح دور الوترين الصوتيين في الحنجرة .

وإذا كانت الظروف التي عاش فيها علماء التجويد في العصور السابقة قد فرضت عليهم تلك الفكرة لتفسير عملية التصويت ، ولم تُتِحْ لهم معارفُ عصرهم أكثر من ذلك فإن الاستمرار في ترداد عبارات تلك الحقبة بجانب ما حصل من تقدم في فهم طبيعة الصوت والكشف عن عوامل تنوعه أمر مخالف للمنهج العلمي ، ينبغي التنبه له والعمل على تداركه.

وتنوعت المؤلفات الحديثة في علم التجويد ، وكثرت كثرة تصعب متابعتها والوقوف عليها ، وغلب عليها النقل من كتب القرون المتأخرة لتفسير عملية التصويت ، على الرغم مما في هذه الكتب من جوانب إيجابية كثيرة علمية وتعليمية ، لكن المحافظة على عبارات الكتب القديمة في تعريف المجهور والمهموس ، والشديد والرخو ، ونقل عبارات القدماء في التفريق

(٦) المصدر نفسه ص ٤٧-٤٩.

بينها، يشكل عقبة في طريق المتعلمين في إدراك حقيقية الصوت وفهم صفات الأصوات على نحو يتناسب مع الحقائق العلمية التي انتهى إليها تطور علم الأصوات في العصر الحديث.

وليس من الضروري تتبع كل ما ورد في كتب علم التجويد الحديثة عن عملية التصويت وعوامل تنوع الصوت ، وسوف أكتفي بعرض ما ورد في عدد من الكتب المهمة التي ألفَّها أساتذة متخصصون ، من أصحاب الرواية ولهم باع في البحث والتعليم ، مما له علاقة بتعريف المجهور والشديد وضدهما، والفرق بين هذه الصفات.

جاء في كتاب (فن الترتيل وعلومه)(١):

١. الهمس: جريانُ النَّفَس مع الحرف عند النطق به ساكناً.
٢. الجهر: انحباس جري النَّفَس مع الحرف عند النطق به.
٣. الشدة: انحباس جري الصوت مع الحرف عند النطق به.
٤. الرخاوة جريان الصوت مع الحرف حال النطق به.
٥. والتوسط: اعتدال الصوت عند النطق بالحرف لعدم كمال احتباسه وعدم كمال جريانه.

ثم عقد المؤلف مبحثاً في (توضيح هذه الصفات الخمس (الهمس والجهر والشدة والتوسط والرخاوة) قال فيه:

« أ- مدار التعريف فيها:

---

(١) أحمد الطويل: فن الترتيل وعلومه ٢/٥٧٩-٥٨١.

يلاحظ أن الفرق بين هذه التعريفات هو: جَرْيُ النفس أو انحباسه بالنسبة (للهمس والجهر) فالنفس الخارج من الصدر يبقى جارياً مع الهمس ، أما مع الجهر فلا يجري.

وجَرْيُ الصوت أو انحباسه بالنسبة (للشدة والرخاوة والتوسط) كذلك.

فمدار التعريف فيها هو (النَّفَس والصوت).

ومدار الجهر على انقطاع النَّفَس ، ومدار الشدة على امتناع الصوت وعدم جريانه ، فإذا امتنعا كان الحرف مجهوراً.

ب- الفرق بين النَّفس والصَّوْت:

النَّفَس: الهواء الخارج من الفم دون أن يُسْمَعَ.

والصوت هو النفس المسموع الخارج من الفم.

فالهواء الخارج من الرئة إن خرج بطبعه فهو (نَفَس).

وإن خرج بإرادة الإنسان واحتكَّ بالحنجرة فهو صوت.

فالصوت له تموُّج وتذبذب دون النَّفَس.

ج- قوة المخرج وضعفه.

ويلاحظ كذلك أن انحباس النَّفَس أو الصوت: يعتمد على قوة الاعتماد على مخرج الحرف وانحصاره فيه.

وأن جريان النَّفَس أو الصوت: يعتمد على ضعف الاعتماد على مخرج الحرف وعدم انحصاره فيه»[1].

(١) المصدر نفسه ٢/٥٨٢.

وهذا البيان للعلاقة بين الصفات الخمس مبني على ما تقرَّر في كتب علم التجويد المتأخرة ، مع بعض الإضافات التي قد تثير إشكالات جديدة ، وتزيد الغموض الذي اكتنف هذه الطريقة في تعريف الصفات الخمس والتعبير عن العلاقة بينها ، ولعل القارئ يدرك أصول هذه التعريفات في كتب علماء العربية والتجويد ، بما لا يحوج إلى التعليق عليها بأكثر من هذا.

وسار على المنهج نفسه مؤلفو كتاب (المنير في أحكام التجويد) مع اختلاف طفيف في بعض ألفاظ التعريفات ، وفي بيان العلاقة بين الصفات ، فقالوا [(٢)]:

١. الهمس: جريان النَّفَس عند النطق بالحروف.

٢. الجهر: انحباس النَّفَس عند النطق بالحرف.

٣. الشدة: انحباس الصوت عند النطق بالحرف.

٤. الرخاوة: جريان الصوت عند النطق بالحرف.

ثم أخذوا في بيان العلاقة بين هذه الصفات ودور النَّفَسَ والصوت في النطق بها ، فقالوا: « ويلاحظ أن علاقة هذه الصفات: الشدة والتوسط والرخاوة بالصوت ، وأن علاقة الهمس والجهر بالنفس.

فالصوت: الهواء الخارج بإرادة الإنسان ، ويحدث له تموج بتصادم جسمين أو بسبب تضييق مجراه أو غلقه نهائياً ثم إطلاقه.

والنَّفَس: الهواء الخارج من داخل الإنسان بدافع الطبع. وعليه فلا تعارض بين التعريفين ، وإن كان يلزم من انحباس النَّفَس انحباس الصوت ، ولا

(٢) أحمد خالد شكري وزملاؤه: المنير ص ١٢٧-١٢٨.

يلزم من انحباس الصوت انحباس النفس ، كما في حروف الجهر ، لأن الصوت لا يتصور انبعاثه دون نفس ، وعليه فالمتوقع أن يكون جميع الحروف الشديدة مجهورة ، إلا أن الكاف والتاء مهموسان[(١)] والجمع بين هاتين الصفتين أن يقال: إن الشدة في هذين الحرفين باعتبار بداية النطق بهما والهمس فيهما باعتبار انتهاء النطق بهما.

وفي الحروف الرخوة المجهورة كالضاد[(٢)] والغين يجري الصوت ولا يجري معه نفس كثير كما يجري مع المهموس ، ولا يفهم منه عدم جريان النَّفَس بالكلية لأن جريان الصوت يقتضي وجود نَفَسٍ معه ولو كان يسيراً»[(١)].

ولا شك في أن مؤلفي الكتاب مُحِقُّونَ في شعورهم بوجود تعارض في هذه التعريفات ، وأحسب أن محاولتهم دفع هذا التعارض لم تؤد إلى إزالته، أو كشف الغموض الذي يكتنف الصورة التي تشكلها تلك التعريفات لعملية التصويت ، وذلك لأنها في الأصل لم تنبن على معرفة تامة بوظيفة الوترين الصوتيين وآلية إنتاج الأصوات اللغوية .

وأختم الحديث عن أثر فكرة الصوت الساذج بالإشارة إلى ما ورد في كتابين مهمين في قواعد التجويد وأصول تدريسه ، هما كتاب (حق التلاوة) وكتاب (أصول تدريس التجويد) للأستاذ حسني شيخ عثمان ، ويمكن

---

(١) هذا على قول علماء العربية والتجويد ، أما المتخصصون بدراسة الأصوات في زماننا فيضيفون إليها القاف والطاء ، وبعضهم يضيف الهمزة أيضاً.

(٢) الضاد في نطق مجيدي القراءة صوت شديد ، في زماننا .

(١) المنير ص١٢٩.

ملاحظة ذلك من خلال تعريفه للحرف ، ومن خلال تعريفه للصفات الصوتية .

قال في تعريف الحرف: « الحرف هو الصوت البشري الذي يتشكل معتمداً على مخرج محقق أو مقدر ، فإن لم يعتمد الصوت على مخرج فليس بحرف ، ويتشكل صوت كل حرف (متميزاً عن سواه) بانحراف الموجات الصوتية بهيئة مخصوصة بكل حرف ، متأثرة بأجواء المخرج (التي تعين على تميز صوت الحرف عن غيره) .

فلكل حرف (عند نطقه) محل يتشكل فيه صوته ، ويُسمَّى هذا المحل مخرجاً ، فالمخارج مقاطع تعترض الصوت الصادر فتمنعه من إيصاله لمنتهاه بهيئته الأولى لموجاته الصوتية ، فحيثما عرض ذلك وانحرفت الموجات الصوتية لتتشكل هيئة جديدة لها سُمِّيَ الصوت حرفاً ، وسُمِّيَ ما يسامته ويحاذيه من الحلق والفم واللسان والشفتين مخرجاً ، ولذلك اختلفت أصوات الحروف باختلاف المخارج واختلاف الكيفيات التي تعرض للصوت عند خروجه ، والاختلاف هو خاصية حكمة الله تعالى المودعة في بني آدم ، إذ بها يحصُل التفاهم ، ولولا ذلك لكان الصوت واحداً بمترلة أصوات البهائم العجماوات، والتي لا يتميز عند الكلام ، ولا يُعلم المراد ، فباختلاف المخارج والصفات يُعْلَم ، وبالاتفاق يُعْدَم »[1].

ولاشك في أن أصول هذا النص ترجع إلى ما قاله ابن جني في تعريفه الحرف ، وما قاله مكي ابن أبي طالب عن دور الصفات في اختلاف

---

(١) حق التلاوة ص٤٠٣ – ٤٠٥ ، وأصول تدريس التجويد ص٢٠٥.

الأصوات ، وهو ينبني على فكرة الصوت الساذج ، يدل على ذلك مـــا ورد فيه: (فالمخارج مقاطع تعترض الصوت الصادر) ، والصوت الصادر هـــو الصوت الساذج ، وأحسب أن الحديث في النص عن الموجـــات الـــصوتية وانحرافها أو تشكلها لا يغير من جوهر الفكرة التي يتضمنها .

ويؤكد ارتباط تصور المؤلف لعملية التصويت بالتراث الصوتي العربي القديم تعريفه للصفات الصوتية ، بقوله[٢]:

١. الهمس: جَرْيُ النَّفَس عند النطق بالحرف .
٢. الجهر: انحباسُ جَرْيِ النَّفَس عند النطق بالحرف .
٣. الشدة: انحباسُ جَرْيِ الصوت عند النطق بالحرف .
٤. الرخاوة: جَرْيُ الصوت مع الحرف .

ويبدو لي أن مؤلف الكتابين كان مطلعاً على المصادر الحديثة التي تعنى بإنتاج الصوت وتشريح الحنجرة ، فقد عرض صورة لأعضاء آلـــة النطـــق ، ولوحة تبين أوضاع الوترين الصوتيين[١] ، لكن ذلك وحده لم يكن كافياً لأنه لم يربط بين تلك الأوضاع وعملية التصويت ، وحدوث صفة الجهر باهتزاز الوترين ، وصفة الهمس ببقائهما ساكنين .

وأود أن أُذكرَّ القارئ أن إشارتي إلى بعض الجوانب السلبية في الكتب المذكورة المتعلقة بإنتاج الأصوات اللغوية وعوامل تنوعها ، لا تغض من القيمة العلمية والعملية لهذه الكتب ، فما القضية التي نناقشها إلا جزئية صـــغيرة في موضوع أقرب إلى الجانب النظري منه إلى الجانب العملـــي ، وأعتـــذر إلى

(٢) حق التلاوة ص ٢٢٥ و٢٢٩ ، ينظر: أصول تدريس التجويد ص٢٧٦ – ٢٧٨.

(١) ينظر: أصول تدريس التجويد ص٢٠٠-٢٠١ .

المؤلفين لهذه الكتب ، فالمقصود هو التنبيه إلى ما في بعض الأفكار المطروحة فيها من قصور من وجهة نظري ، والباحث حين يجد ملاحظات على ما كتبه مَن قبله فإن الواجب العلمي والنصيحة لأهل العلم تقتضي التنبيه عليها ، وليس في ذلك في ظني مساس بمكانة مؤلفيها ولا إنكار لفضلهم في عامة ما كتبوه فيها وفي غيرها .

الخاتـــمة

إن التراث الصوتي العربي بجوانبه كافة : ما كتبه علماء اللغة العربية ، وعلماء التجويد ، وما كتبه الفلاسفة والحكماء ، إنجاز علمي رائع ، سبق فيه العربُ غيرَهم ، ينبغي التنويه به ودراسته وإبراز الجوانب المتميزة فيه ، وفهم ما يمكن أن يؤخذ على بعض الأفكار فيه من خلال المعرفة العلميـــة المتاحـــة لكاتبيه في زمانهم .

وكذلك فإن الجهود المبذولة اليوم في تعليم القرآن ، روايةً للقراءات ، وتعليماً لقواعد التجويد ، وشرحاً للأحكام ، وتقويماً للأداء ، سواءٌ أكـــان ذلك من خلال مؤسسات التعليم الرسمية بكل مستوياتها ووسائلها في التعليم ، أم كان من خلال الجمعيات العلمية ، أو حلقات التعليم في المساجد وغيرها ، أو من خلال البرامج المرئية والمسموعة ، أو الكتابات الورقية أو المـــسجلة ، كل تلك الجهود تَسُرُّ المهتم بأمر القرآن وتعليمه ، وتبعث على التفاؤل في أن المستقبل سوف يشهد امتداداً لهذه الحركة المباركة ، فتصير القراءة الصحيحة للقرآن جزءاً من الثقافة العامة في المجتمعات الإسلامية ، كما هي علم مـــن العلوم ، وتصير قراءة القرآن وتفهم معانيه متاحة لكل من يرغب في ذلـــك ، وتتحقق رسالة القرآن في إصلاح الأفراد وتقويم المجتمعات .

تلكم رسالة عظيمة يحمل عِبْأَها أهل القرآن ، لأنهم يُعَلِّمون النـــاس قراءته ، ويبينون معانيه ، ويشرحون أحكامه ، ومن ثَمَّ فإنهم تقـــع علـــيهم مسؤولية عظيمة ، وأحسب أن عليهم أن يتساءَلوا: هل وسائل التعليم الـــتي يعتمدونها هي أفضل ما هو متاح في هذا العصر ؟ وهل جميع الأفكـــار الـــتي

تتعلق بالصوت اللغوي ، والتي يذكرونها في كتب تعليم التلاوة ، متوافقة مع الحقائق التي أثبتها علم الصوت الحديث ؟

إن ما ورد في هذا البحث يشير إلى وجود بعض القضايا في كتب هذا العلم تحتاج إلى مراجعة ، لاسيما ما يتعلق بوصف عملية التصويت وتعريف المجهور والشديد وضدهما ، فإن الاستناد إلى فكرة الصوت الساذَج في تفسير عملية التصويت لم يعد مقبولاً ، وكذلك بناء تعريف المجهور والمهموس على جري النَّفَسِ ومنعه ، والشديد والرخو على جري الصوت ومنعه ، لم يعد كافياً ، في إيضاح حقيقية هذه الصفات والتميز بينها.

وأحسب أنه قد حان الوقت لتخليص كتب التجويد التعليمية من ذلك ، وتلزم مراجعة هذه الكتب من خلال الاستعانة بمصدرين:

الأول: علم الأصوات اللغوية.

الثاني: علم التشريح .

ولا يحتاج معلم التجويد ومتعلمه إلى كل التفاصيل الدقيقة لهذين العلمين ، لكن لابد من فهم المبادئ الأساسية لتكوين آلة النطق ومكوِّنات الحنجرة ، وكيفية عملها ، ومعرفة حقيقة الصوت اللغوي والقوانين التي تخضع لها ظاهرة الصوت ، ولا يستغني دارس التجويد عن النظر في كتب هذا العلم التي كتبها علماء التجويد في العصور السابقة ، لأن الجوانب العلمية والتطبيقية الخاصة بقراءة القرآن لا تهتم بها كتب علم الصوت الحديث.

وقد يعترض بعض من يسمع هذا الكلام ، ويقول: وهل كان علماء القراءة على خطأ كل هذه القرون ، أَلَمْ يُعَلِّمُوا القراءة على نحو صحيح ، ويحافظوا على أداء القرآن سليماً من اللحن والتحريف ؟ والجواب: نعم

لاشك في ذلك ، ولكن لا يخفى على المهتم بأمر القـراءة القرآنيـة أنَّ لهـا جانبين:

الأول: الرواية ، وهي تعتمد على التلقي ، ولا مجال للاجتهاد فيها.

الثاني: الدراية ، وهي تعتمد على النظر والاجتهاد في فهـم حقـائق النطق.

وعلم التجويد علم دراية ، وهدفهُ تعليم القراءة الصحيحة ، وقد أدَّى دوره خلال القرون الماضية ، وحقق هدفه في تعليم القراءة الصحيحة ، وهو لا يزال يؤدي ذلك الدور ، لكن هذا العلم وسيلة لتحقيق الهـدف ، وهـو كالطريق إن كانت معبَّدة أوصلت السائر فيها إلى هدفه بسرعة وبأقل عناء ، وإن كانت غير معبدة أوصلته إلى غايته ولكن بعد جهد وتعب ، والحكمـة تقتضي تجنب المشقة ما أمكن ، وهذا البحث دعوة لرفع الحرج وتجنب المشقة في تعليم القراءة .

ولعل القارئ ينتظر في خاتمة هذا البحث البديل الذي يقدِّمه لفكـرة الصوت الساذج ، وتعريف صفات الأصوات ، وليس من الـسهل اختـزال عملية التصويت الإنساني في سطور ، ولكني سوف أحـاول أن أشـير إلى العناصر الأساسية فيها. ويمكن أن يكون بديل فكرة الصوت الساذج طريقة سيبويه في التمييز بين المجهور والمهموس ، وهي أن الأصوات المجهورة تخـرج بصوت الصدر (أي النغمة الحنجرية) والمهموسة تخرج بصوت الفـم مـن مخارجها ، وليس هناك مشكلة بعد ذلك في تعريف الـصوت الـشديد (أو الانفجاري) بأنه ما يحتبس النَّفَس في مخرجه ، والرخو (أو الاحتكاكي) بأنه ما يضيق مجرى النفس في مخرجه.

فإن أراد القارئ أوضح من ذلك فسيجده في الدرس الصوتي الحديث وخلاصته أن هواء الزفير هو مادة الصوت ، أي المادة التي يتمكن الإنسان من استخدامها في إنتاج الأصوات ، ولابد من تحريك أعضاء النطق لتحقيق ذلك، أما إذا كانت أعضاء النطق ساكنة ومجرى النَّفَس مفتوحاً فلا يتحقق الصوت، كما في حالة التنفس الاعتيادي.

إن إنتاج الصوت اللغوي يتطلب اجتماع عاملين هما:

١.النَّفَس وهو هواء الزفير.

٢. العارضُ ، وهو اعتراض آلة النطق لمجرى النفس بقَفْلٍ أو تضيق ، فيؤدي ذلك إلى تدافع جزئيات الهواء وتكوُّن موجة صوتية تسري في الهواء حتى تصدم أُذن السامع.

ولا يخفى على القارئ أن عملية التصويت أكثر تعقيداً من هذه الصورة المبسطة ، لكنها ليست مما يعجز المرء عن تصوره أو معرفته ، ويمكن أن نحدد مولِّدات الصوت الرئيسة بموضعين هما:

(١) الوتران الصوتيان في الحنجرة ، ويتخذان عدة أوضاع ، أهمها اثنان، فإن بقيا متباعدين مَرَّ خلالهما النَّفَس أثناء عملية التصويت حتى يبلغ موضع الاعتراض ، وهو المخرج ، ولا يؤثران في هذا الحالة على النَّفَس ، حتى تتدخل الأعضاء في المخرج بقفل أو تضيق ، ويؤدي ذلك إلى حدوث الصوت ، ويسمى الصوت الذي يحدث في هذه الحالة مهموساً.

فإن تضامَّ الوتران الصوتيان في أثناء عملية التصويت أدَّى ضغط النفس إلى فتحهما ثم غلقهما بسرعة كبيرة ، ومرَّات كثيرة ، وهو ما يُعَبَّرُ عنه بذبذبة الوترين الصوتيين ، ويؤدي ذلك إلى صدور النغمة الحنجرية ، التي

يحملها النَّفَس حتى يبلغ موضع الاعتراض من آلة النطق ويحدث قفل أو تضييق لمجرى النفس ، ويؤدي إلى حدوث صوت يتداخل مع النغمة الحنجرية ليتشكل الصوت المجهور.

(٢) موضع اعتراض النَّفَس ، وهو المخرج ، وقد يؤدي اعتراض النَّفَس في المخرج إلى حبسه حبساً تاماً ثم إطلاقه ، وذلك في نطق الأصوات الشديدة ، وقد يضيق مجرى النفس في المخرج ، فيؤدي ذلك إلى حدوث احتكاك مسموع ، وذلك في نطق الأصوات الرخوة .وقد يصحب اعتراض النفس في المخرج اهتزاز الوترين الصوتيين فيكون الصوت مجهوراً ، وقد لا يهتز الوتران عند الاعتراض فيكون الصوت مهموساً ، كما سبق بيانه .

ومن خلال ذلك تعلم أن الصوت المجهور هو الذي يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق به ، والمهموس هو الذي لا يتذبذب الوتران عند النطق به في مخرجه ، وسبق تفصيل ذلك في المبحث الأول.

ولكي تقف على حقيقة مصطلح الصوت الشديد والصوت الرخو عليك أن تنظر في موضع اعتراض النفس ، أي المخرج ، فإن حصل حَبْسٌ للنفس ثم إطلاق كان الصوت شديداً ، وإن حصل تضيق فقط كان الصوت رخواً ، وإن حصل حَبْسٌ في موضع الاعتراض وتسريب للنفس من موضع آخر كان الصوت متوسطاً.

ويمكن التعبير عن آلية إنتاج هذه الأصوات بالقول إن بعض الأصوات أُحادي التصويت أي أن الصوت يخرج من موضع واحد أو جهة واحدة ، وذلك في الأصوات المهموسة ، التي يخرج صوتها من مخارجها ، وبعض

الأصوات ثنائي التصويت ، مثل الأصوات المجهورة التي يتكون صوتها من النغمة الحنجرية مع ما يحدث للنَّفَس المحمل بالاهتزازات في موضع الاعتراض.

والأمر يحتمل تفصيلاً أكثر من هذا ، ويمكن الاطلاع على كثير منه في كتب علم الأصوات ، وقد يكون في بعض ما كتبته قصور ، لكني أحسب أن الفكرة الأساسية للبحث صحيحةٌ ومهمةٌ ، ويجب على كل مشتغل بعلم التجويد تأليفاً أو تعليماً أن يقف عندها ، ويتابع درسها في المصادر المتخصصة حتى تنكشف له حقيقة الموضوع كاملة ، وسيقتنع حينئذ بصحة الدعوة إلى التخلص من رواسب فكرة الصوت الساذج في كتب علم التجويد. والله تعالى أعلم .

مصادر البحث

١. إبراهيم أنيس (دكتور): **الأصوات اللغوية** ، ط٤ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧١.

٢. أحمد خالد شكري (دكتور) وزملاؤه (ثمانية): **المنير في أحكام التجويد** ، الطبعة الثامنة ، جمعية المحافظة على القرآن الكريم ، عمان ١٤٢٧هـ =٢٠٠٦م.

٣. أحمد الطويل (الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد): **فن الترتيل وعلومه** ، ط١، مجمع الملك فهد لطباعة الشريف ، المدينة المنورة ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

٤. أحمد مختار عمر(دكتور): دراسة الصوت اللغوي ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.

٥. إخوان الصفا: **رسائل إخوان الصفا** ، دار صادر ، بيروت ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م .

٦. الاستراباذي (رضي الدين محمد بن الحسن): **شرح الشافية** ، تحقيق محمد الزفزاف وآخرين ، مطبعة حجازي ، القاهرة .

٧. البرلوي (أحمد بن عبد اللطيف): **الدر النضيد في المسائل المتعلقة بالتجويد** ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٦م .

٨. بوش (ف): **أساسيات الفيزياء** ، ترجمة د. سعيد الجزيري ، ود. محمد أمين سليمان ، ط٣ ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٨م.

٩. التاذفي (محمد بن إبراهيم الحلبي): **الفوائد السرية في شرح الجزرية** ، مخطوط ، المكتبة الأزهرية رقم (١٣٤٩) — ٤٨١٣٩ .

١٠. جان كانتينو: **دروس في علم الأصوات العربية** ، ترجمة صالح القرمادي ، تونس ١٩٦٦م .

١١. ابن الجزري (أبو الخير محمد):

أ. **التمهيد في علم التجويد** ، تحقيق غانم قدوري الحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م.

ب. **النشر في القراءات العشر** ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

١٢. ابن جني (أبو الفتح عثمان): **سر صناعة الإعراب** ، ط١ ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م .

١٣. الجواليقي (أبو منصور موهوب بن أحمد): **المعرَّب من الكلام الأعجمي** ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م .

١٤. حاجي خليفة (مصطفى عبد الله): **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، استانبول ١٩٤١م و ١٩٤٣م .

١٥. حسني شيخ عثمان:

أ. **أصول تدريس التجويد** ، ط١ ، دار طيبة الخضراء ، مكة المكرمة ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .

ب. **حق التلاوة** ، طبعة مزيدة ومنقحة ، جهينة للنشر والتوزيع ، عمان ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م .

١٦. الخليل بن أحمد الفراهيدي : **كتاب العين** ، ج١ ، تحقيق د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

١٧. الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد): **التحديد في الإتقان والتجويد** ، ط٢ ، تحقيق غانم قدوري الحمد ، دار عمار ، عمان ١٩٩٩م = ١٤٢٠هـ .

١٨. الرازي (فخر الدين محمد بن عمر): **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

١٩. الراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد): **المفردات في غريب القرآن** ، تحقيق محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة ، بيروت ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.

٢٠. الزَّبيدي (محمد مرتضى) **تاج العروس من جواهر القاموس** (مجموعة من المحققين) ، دار الهداية.

٢١. زكريا الأنصاري: **الدقائق المحكمة في شرح المقدمة** ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ١٤١١هـ=١٩٩٠م.

٢٢. ابن السراج (محمد بن السري): **الأصول في النحو** ، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

٢٣.سعد عبد العزيز مصلوح (دكتور): **دراسة السمع والكلام: صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك** ، عالم الكتب ، القاهرة ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

٢٤.سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان): **الكتاب** ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة (د.ت).

٢٥.السيرافي (الحسن بن عبد الله): **شرح كتاب سيبويه** ، ج٦ ، مخطوط ، دار الكتب المصرية (٥٢٨ نحو- تيمور).

٢٦.ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله): **أسباب حدوث الحروف** ، تفليس ١٩٦٦م.

٢٧.طاش كبري زاده (عصام الدين أحمد بن مصطفى) **شرح المقدمة الجزرية** ، تحقيق د. محمد سيدي محمد الأمين ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ١٤٢١هـ.

٢٨.عبد الرحمن أيوب (دكتور): **أصوات اللغة** ، ط١ ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة ١٩٦٣م.

٢٩.عبد الصبور شاهين (دكتور) : **في التطور اللغوي** ، ط١، مكتبة دار العلوم ، القاهرة ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م.

٣٠.عبد الوهاب بن محمد القرطبي: **الموضح في التجويد** ، تحقيق غانم قدوري الحمد ، دار عمار ، عمان ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

٣١.العطار (أبو العلاء الحسن بن أحمد): **التمهيد في معرفة التجويد** ، تحقيق غانم قدوري الحمد ، دار عمان ، عمان ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

٣٢.علي القاري (الملا علي بن سلطان): **المنح الفكرية على متن الجزرية**، المطبعة الميمنية (مصطفى البابي الحلبي) بمصر ١٣٢٢هـ.

٣٣.العماني (أبو محمد الحسن بن علي بن سعيد): **الكتاب الأوسط في القراءات** ، تحقيق د. عزة حسن ، دار الفكر ، دمشق ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

٣٤.غانم قدوري الحمد:

أ. **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، دار عمار ، عمان ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

ب. **المدخل إلى علم أصوات العربية** ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

٣٥.الفارابي (أبو نصر محمد بن حمد بن طرخان):

أ.**كتاب الموسيقى الكبير**، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة (د.ت).

ب.**كتاب الحروف** ، دار الكتب العلمية ، بيروت١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

٣٦.الفضالي (سيف الدين بن عطاء الله): **الجواهر المضية على المقدمة الجزرية** ، تحقيق عزة بنت هاشم مُعيني ، مكتبة الرشد ، الرياض ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

٣٧.القسطلاني (أحمد بن حمد): **لطائف الإشارات لفنون القراءات** ، تحقيق د. عبد الصبور شاهين ، والشيخ عامر السيد عثمان ، القاهرة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.

٣٨.كمال بشر (دكتور): **علم الأصوات** ، دار غريب ، القاهرة ٢٠٠٠م.

٣٩.مالمبرج (برتيل): **علم الأصوات** ، تعريب ودراسة ، د.عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٨٥م.

٤٠.المبرد (محمد بن يزيد): **المقتضب** ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت (د.ت).

٤١.محمد مكي نصر: **نهاية القول المفيد في علم التجويد** ، مراجعة الشيخ علي محمد الصباغ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٤٩هـ.

٤٢.محمود السعران (دكتور): **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي** ، ط٢ ، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤١٧هـ=١٩٩٧م.

٤٣.المرادي (الحسن بن قاسم): **المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد** ، تحقيق د. علي حسين البواب ، مكتبة المنار ، الزرقاء ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

٤٤.المرعشي (محمد بن أبي بكر):

أ. **بيان جهد المقل** ، مخطوط ، دار المخطوطات ، بغداد (الرقم ١١٠٦٨/٥).

ب. **جهد المقل** ، تحقيق د. سالم قدوري الحمد ، دار عمار ، عمان ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.

٤٥. المزي (أبو الفتح محمد بن حمد العوفي): **الفصول المؤيِّدة للوصول إلى شرح المقدمة** ، تحقيق جمال السيد رفاعي ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، القاهرة ٢٠٠٥م.

٤٦. المسعدي (عمر بن إبراهيم): **الفوائد المسعدية في حل المقدمة الجزرية،** تحقيق جمال السيد رفاعي ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، القاهرة ٢٠٠٥.

٤٧. مكي بن أبي طالب القيسي: **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة** ، تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات ، ط٣ ، دار عمار ، عمان ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.

٤٨. ابن منظور (محمد بن مكرم): **لسان العرب** ، طبعة بولاق.

٤٩. ابن الناظم (أبو بكر أحمد بن الجزري): **الحواشي المفهمة في شرح المقدمة** ، تحقيق عمر عبد الرزاق معصراني ، الجفان والجابي للطباعة والنشر ١٤٢٦هـ=٢٠٠٦م.

٥٠. هنري فليش:

أ. **التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب** ، ترجمة د. عبد الصبور شاهين ، مجلة مجمع اللغة العربية ، ج٢٣، القاهرة ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م.

ب. **العربية الفصحى** ، تعريب وتحقيق د. عبد الصبور شاهين ، دار المشرق ، بيروت ١٩٨٣م.

موضوعات البحث